البيان
مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين
العدد 576 يوليو 2018

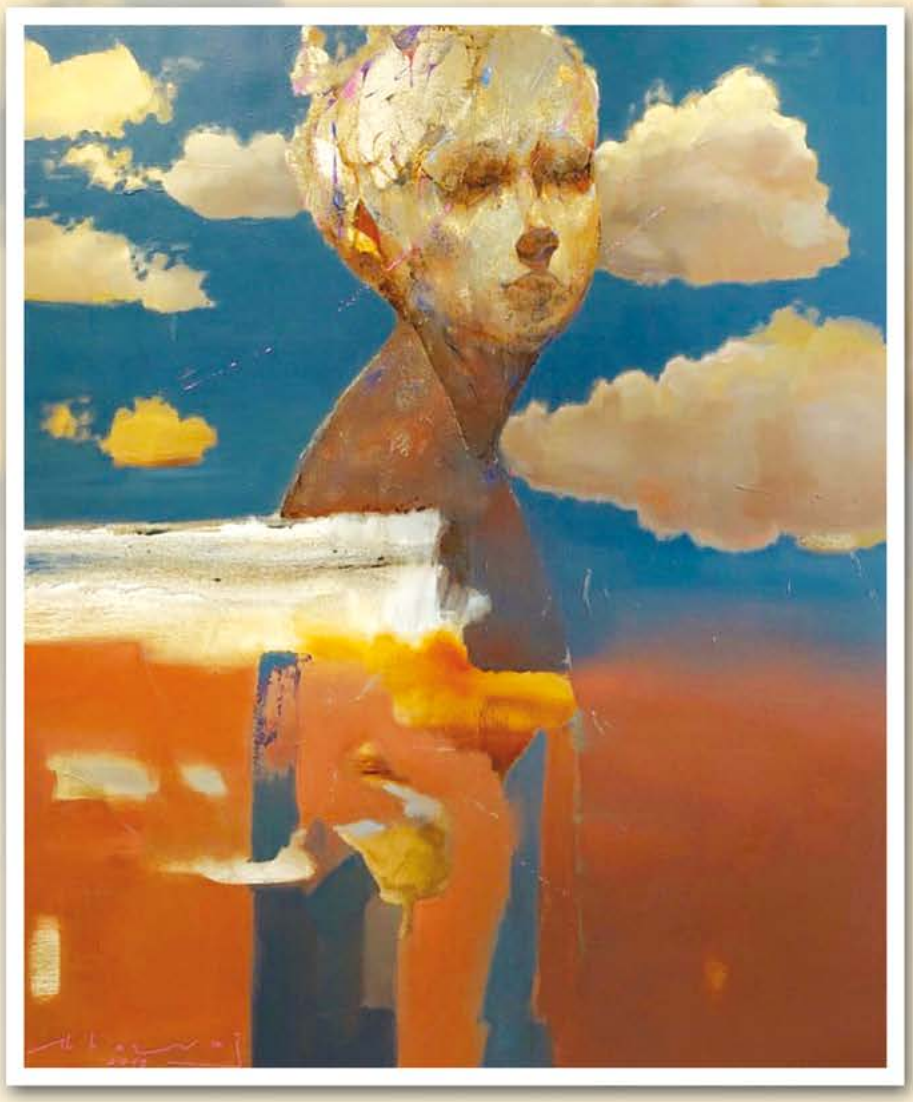

- سلسلة « عالم المعرفة » .. الريادة في مجال الثقافة
- المكتبات التجارية القديمة في الكويت
- تونس .. عشبة الفينيق

البيان
مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين - العدد 576 يوليو 2018

العـــــدد 576 يـولـيـو 2018

مـجـلـــة أدبيـــة ثقافيـة شهـرية
تصدر عـــن رابطـــة الأدبـــاء الكويتيين

صدر العدد الأول في أبريل (1966)

الإشـــــراف الـعـــام
طـلال سـعـد الرميضـي

رئـــيـس الـتـحـريـــر
عـــائـشـــة الـفـجـري

سـكـرتـيـر الـتـحـريـر
عـــدنـــان فـــــرزات

الـتـدقـيـق الـلـغـوي
خـلـيـــل الســـــلامـــة

الإخـــــراج الـفـنـي
لـــــورانـــــس عـبـــدو

موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
www.alrabeta.org
البريد الإلكتروني
elbyankw@gmail.com
elbyan@hotmail.com
وزارة الإعلام – مطبعة حكومة دولة الكويت

مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 – أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.
2 – المواد المرسلة تكون مطبوعة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
3 – يفضل إرسال المادة محملة على CD أو بالإيميل.
4 – موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف ورقم الحساب المصرفي.
5 – المواد المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها فقط.
6 – مكافأة النشر 100 يورو، ويسقط حق المطالبة بها في حال عدم استلامها بعد 6 أشهر.

ثـمـن الـعـدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: 750 فلسًا، قطر: 8 ريالات، دولة الإمارات العربية المتحدة: 8 دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: 8 ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: 50 ليرة، مصر: 3 جنيهات، المغرب: 10 دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت: 10 دنانير
للأفراد في الخارج: 15 دينارًا أو ما يعادلها
للمؤسسات والوزارات في الداخل: 20 دينارًا كويتيًا
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت: 25 دينارًا كويتيًا أو ما يعادلها

المـــراســـلات

رئيس تحرير مجلة البيان
ص.ب 34043 العديلية – الكويت، الرمز البريدي 73251
هاتف المجلة: 22518286 965+
هاتف الرابطة: 25106022 / 22518282
فاكس: 22510603

Al Bayan

LITERARY JOURNAL ISSUED

BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION

(576) July 2018

General Super Vision
Talal Saad Alrumaidhi

Editor in chief
Aisha Al-Fajri

Correspondence Should be Addresses to:

The Editor,
Al Bayan Journal
P.O.Box: 34043 Audilyia - Kuwait
Code: 73251 - Fax: +965 22510603
Tel.: (Journal) +965 22518286 - 22518282 - 22510602

المحتوى

كلمة البيان		5
لقاء مثمر	البيان	6
أخبار الرابطة		8
وزير الإعلام الكويتي يشيد بالأدوار الريادية لرابطة الأدباء الكويتيين		8
دراسات		11
سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية في ذكرى ميلادها الأربعين	د. علي بن مبارك	12
قراءات		23
الروائي العالمي أورهان باموق	سامر أنور الشمالي	24
مقالات		43
المكتبات التجارية القديمة في الكويت 4/3	خالد سالم الأنصاري	44
الفنون الإسلامية في كيرالا الهندية	نشاد علي الوافي	48
دار الكتب المصرية..التحديات ورؤية جديدة	د. أحمد الشوكي	53
مفارقات لغوية من القرآن الكريم	علي سويدان	64
رحلات		71
تونس..عشبة الفينيق..	أحمد مبارك البريكي	72
نصوص و شعر		79
ذاك الفؤاد/ يخيل لي	حصة الفرحان	80
زهرة الزيزفون	مجبل المالكي	82

قصة 83

- أوليغاركي ..... بدر أبو رقبة العتيبي 84
- لماذا تأخّرت كل هذا الوقت؟ ..... إبراهيم درغوثي 88
- حَضَرَ جَنَازَتَهُ كَلْبُهُ فقط... ..... سعيد موفقي 91
- الكلب يقودني إلى البيت ..... مسعود غراب 93
- حلم على المرآة ..... ثريا عبد البديع 95

محطات قلم 96

- «رحيل».. موظف ..... طلال سعد الرميضي 96

كلمة البيان

لقاء مثمر

تحتاج النهضة الثقافية إلى تضافر وتعاون وانسجام بين مؤسسات الدولة جميعها. فحين نؤمن أن الثقافة أحد أهم عناصر التنمية والبناء في المجتمع، فهذا يعني أننا وضعناها في مصاف الاهتمام بالسياسة والاقتصاد والعمل الاجتماعي. أي باختصار الأمر يتطلب من الدولة اعتبار الثقافة جهة سيادية لها قرار مؤثر ومسموع.

لذلك مدت رابطة الأدباء الكويتيين يدها إلى كافة مؤسسات المجتمع المدني، ومدت الجسور مع مختلف الجهات الرسمية والخاصة في سبيل تغزيز مكانة الفكر وليقين الرابطة بأن العمل الجماعي هو الأجدى، والأكثر قوة.

من هذا المنطلق، سعت رابطة الأدباء الكويتيين إلى التعاون مع وزارة الإعلام إيماناً منها بأهمية ما يقدمه الإعلام للثقافة والعكس أيضاً، أهمية ما تقدمه الثقافة للإعلام. فحرصت الرابطة على استضافة وزراء إعلام لتوثيق العلاقة بين هاتين المؤسستين بما يخدم مصلحة المجتمع.

وستبقى في الذاكرة زيارة معالي وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب محمد ناصر الجبري، الذي التقى بأعضاء رابطة الأدباء الكويتيين ودار بينهم حديث عن شجون وشؤون العمل الثقافي بكل وضوح وشفافية، وفي هذا اللقاء تم الإعلان عن عدة أمور مهمة، أولها الموافقة المبدئية على إقامة مهرجان جديد تحت اسم "كاظمة"، والجميع يعرف عمق ودلالة هذا الاسم التاريخي الذي ارتأت رابطة الأدباء ووزارة الإعلام إعادته إلى ذاكرة الحاضر من جديد. والشكر موصول إلى المستشار ضيف الله شرار الذي أشاد به معالي وزير الإعلام لتزكيته فكرة المهرجان.

وإذا قدر الله لهذا المهرجان الظهور، سيكون إضافة عميقة إلى الثقافة في

الكويت، وستعرف الأجيال الكثير عن ماضي أجدادها وكم عانوا من قسوة الحياة حتى وصلتهم الكويت بصورتها الحديثة.

من النقاشات المبهجة التي دارت بين معالي الوزير محمد ناصر الجبري، والحضور، كان لأدب الطفل حصة كبيرة فيها لما للطفل من أهمية عظيمة في مستقبل الأمة والوطن، وقد أعلن معالي الوزير عن عزم تلفزيون دولة الكويت على إنشاء قناة خاصة بالطفل، ودعا الأدباء الحضور ليكونوا من ضمن أعضاء اللجان التي تشرف على هذه القناة،خصوصاً وأن أدب الطفل من أولويات رابطة الأدباء، فقد أسست نادياً خاصاً بالطفل وأفردت له مساحة كبيرة في برامجها.

إن مثل هذه اللقاءات بين المؤسسات والقائمين عليها يمنح الحراك الثقافي زخمه الكبير، ويضع نقاط الوعي على حروف العمل الجاد. فالحياة الثقافية عبارة عن بناء ضخم، كل مؤسسة تحمل أو تسند ركناً منها، وإذا خلا ركن من هذه الأركان من داعميه فإن البناء معرض للانهيار.

لذلك فإن رابطة الأدباء الكويتيين تثمن عالياً الزيارة التي قام بها معالي الوزير محمد ناصر الجبري إلى مقر الرابطة، كما تقدر الرابطة للأدباء حضورهم هذا اللقاء بمقترحاتهم وأفكارهم التي كانت مفيدة لمسيرة العمل الثقافي في دولتنا الحبيبة التي يكتمل وجهها المضيء بأدبائها.

وكلنا أمل أن يستمر هذا التضافر بين مؤسسات الدولة لكي يبقى وطننا في صدارة النهضة الحضارية التي بدأها الأولون وأكملها من جاء من بعدهم بكل إخلاص.

البيان

وزير الإعلام الكويتي يشيد بالأدوار الريادية لرابطة الأدباء الكويتيين*

وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي محمد ناصر الجبري خلال زيارته لرابطة الأدباء الكويتيين ويظهر على يمينه المهندس علي اليوحة وعلى يساره أ. طلال سعد الرميضي وعبد الله الفيلكاوي.

أشاد وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي محمد الجبري بالأدوار الريادية التي تقوم بها رابطة الأدباء الكويتيين عبر احتضانها الأدباء لاسيما الشباب منهم والعناية بأدبهم وإبراز إبداعاتهم.

وقال الوزير الجبري في تصريح صحفي خلال زيارة قام بها لرابطة الأدباء الكويتيين أن رابطة الأدباء تعتبر صرحا كويتيا وطنيا شامخا يزخر بالإنجازات والإبداعات الأدبية

* نقلاً عن كونا.

وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي محمد ناصر الجبري خلال زيارته لرابطة الأدباء الكويتيين وعلى يساره أ. طلال سعد الرميضي وعبد الله الفيلكاوي وحياة الياقوت ورئيس تحرير البيان أ. عائشة الفجري

والثقافية وشاهدا على أجيال من الادباء والمثقفين الذين أثروا الساحة المحلية والخليجية والعربية".

وأكد أن رابطة الأدباء كانت ولازالت تحظى بكل الدعم والمساندة منوها بحرص وزارة الإعلام والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب على استمرار التعاون الإعلامي والثقافي معها إضافة إلى تسليط الضوء على الأدوار المهمة التي تضطلع بها الرابطة.

وأكد أن وزارة الإعلام تقدم كل الدعم لمهرجان كاظمة الثقافي بالتعاون مع رابطة الأدباء الكويتيين علاوة على القيام حاليا بعمل مهرجان للطفل بالتعاون مع المكتبة الوطنية لتحفيزهم على القراءة ومهارات أخرى وستخصص لهذا المهرجان جوائز قيمة .

وأعلن الوزير الجبري أن فتح قناة للطفل والأسرة تمر في مراحلها الأخيرة لافتا إلى أنه استمع لكافة الآراء والملاحظات خلال اللقاء.

من جهته قال الأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيين أ. طلال الرميضي أن زيارة الوزير الجبري تأتي في إطار اهتمام الدولة اللامحدود بالأدب والثقافة.

وزير الإعلام محمد ناصر الجبري يتوسط من اليمين: خالد سالم الأنصاري وصالح المسباح وعبد الله الفيلكاوي وطلال سعد الرميضي، ومن اليسار: عبد الله البصيص وسالم الرميضي وأمل الرندي وعائشة الفجري وحياة الياقوت، وجلوساً خلف العصيمي وخالد الراشد

وأشاد الرميضي في تصريح مماثل بحرص الوزارة على تذليل كافة العقبات التي قد تحول دون قيام الكويت بأدوارها الأدبية والثقافية على المستوى المحلي والمستويات الخارجية.

حضر اللقاء الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب م. علي اليوحة.

وزير الإعلام محمد ناصر الجبري يتوسط مجموعة من الحضور من أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين

دراسات

سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية في ذكرى ميلادها الأربعين:

الريادة في مجال الثقافة

لا نبالغ إذا اعتبرنا سلسلة «عالم المعرفة» من أهمّ ما أُنجز عربيّا على مستوى الثقافة في العصر الحديث، ونحتفل هذه السنة (2018) بالذكرى الأربعين لصدور العدد الأوّل من هذه السلسلة التي شرعت في الظهور سنة 1978، وشدّت منذ ظهورها اهتمام القارئ العربي، وجعلته ينتظر صدور كتابها الشهري، ويجتهد قصارى جهده في اقتنائه وقراءته. وكان عشّاق هذه السلسلة يتسابقون في جمع أعدادها كلّها والبحث عمّا نقص منها، ولم يكن ذلك من باب التظاهر والتزيّن، بل عكس هذا الإقبال الهائل على سلسلة عالم المعرفة وعيا بأهمية ما تطرحه من مواضيع وما تثيره من أسئلة وإشكاليات، فقد كشفت السلسلة منذ أعدادها الأولى عن رؤية جديدة في كتاباتها تتسم بالجدية والجرأة والعمق والبساطة، فقد تناولت هذه السلسلة مواضيع خطيرة تعكس هموم المثقف العربي بتشكيلاته المختلفة.

بقلم: د. علي بن مبارك*

لا يمكن أن نفهم رسالة سلسلة «عالم المعرفة» إلاّ إذا وضعناها في سياقها الثقافي، إذ لم تكن هذه السلسلة حدثا اعتباطيا أو عملا نشازا، بل كانت نتاجا لمجهودات جمّة اعتنت بالثقافة في دولة الكويت منذ بداية القرن العشرين. ومن الصعب في هذا العمل القصير أن نقف عند مختلف محطات الحياة الثقافية الكويتية في العصر الحديث، فهي كثيرة ومتعددة ومتطوّرة، فقد أظهر الكويتيون منذ عشرينات القرن الماضي اهتماما كبيرا بالثقافة في زمن هيمن فيه الاستعمار والجهل على مختلف الأقطار العربية، فتأسست المكتبة الأهلية الكويتية سنة 1923م،

* أكاديمي تونسي.

وبُعث النادي الأدبي سنة 1924م ليجمع شتات المثقفين والمبدعين، وشاعت الكتابات الإبداعية والفكرية، وظهرت مجلات ناقدة وجريئة. وتعتبر «مجلة الكويت» أوّل هذه المجلّات صدورا، ونحتفل هذه السنة أيضا بتسعين سنة على تاريخ صدورها (1928-2018)، وتتالت المجلات المتنوعة صدورا وانتشارا داخل الكويت وخارجها، ولعلّ مجلة «العربي» كانت أكثر تلك المجلات إشعاعا وتأثيرا في المشهد الثقافي العربي. والطريف أنّنا نحتفل هذه السنة أيضا بمرور ستين سنة عن ولادة مجلة «العربي»، فمنذ سنة 1958 تصدر هذه المجلّة الفتية دون انقطاع باستثناء تعطّل مرافق الثقافة أيام الاحتلال العراقي للكويت، وهذا يعني أنّنا نحتفل هذه السنة بثلاثة مشاريع ثقافية متميّزة في المجال الثقافي، وهي على التوالي «مجلة الكويت» ومجلة «العربي» وسلسلة «عالم المعرفة».

يندرج هذا الإنتاج الإبداعي والمعرفي المهمّ ضمن سياق ثقافي يؤمن بأهمية الثقافة ودورها في تطوير البلاد وتقدّمها، وممّا لا شكّ فيه أنّ الجامعة الكويتية لعبت -منذ تأسيسها سنة 1966م- دورا رياديا في ترسيخ الهاجس الثقافي ونشر المعرفة بين النّاس، إذ تأسست عشرات الجمعيات الثقافية، وتعددت الملتقيات والفعاليات، وازدهت الفنون الموسيقية والمسرحية، وشاعت إبداعات القصة والشّعر والرّسم وغيرها ممّا يضيق المجال بذكره.

وجدير بالذّكر أنّ المشروع الثقافي الكويتي حمل على عاتقه أزمة الثّقافة العربية منذ سبعينات القرن العشرين، إذ اضطلعت وزارة الثقافة والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدور كبير «فتحول الأمل إلى عمل والشّعار إلى بحث علمي، والأهداف إلى

خلاصات تجارب ومناهج وخبرات.»[1] وفي هذا الإطار تندرج سلسلة عالم المعرفة، إذ أسهم المجلس الوطني للثقافة من خلالها في تطوير المشهد الثقافي العربي، والإسهام في تطوير الوعي الثّقافي عند الإنسان العربي المثقف دون الدّخول في التفاصيل العلمية الدّقيقة المتخصّصة، فقد استهدفت سلسلة عالم المعرفة كلّ أصناف المثقفين المختصين وغير المختصين، وكأنّ هذا الكتاب «جاء ليخلق رأيًا عاما مثقّفا علميّا مستنيرًا».

صدر الكتاب الأول من سلسلة «عالم المعرفة» سنة 1978، وكان عددا تأسيسيّا، أحسن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب اختيار موضوعه ومؤلّفه، ونجد في هذا العدد الأوّل تصديرًا، كان بمثابة الرؤية الثّقافية التي ستعتمدها هذه السّلسلة الجديدة. وكتب هذا التصدير أحمد مشاري العدواني (تـ 1990م)، وكان عندئذ أمينا عاما للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهو مثقف كويتيّ، وشاعر مبدع، أسهم في بعث

(1) محمد حسن عبد اللّه، الكويت والتنمية الثقافية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 153، 1991، سلسلة: عالم المعرفة، ص 87

> **جدير بالذّكر أنّ المشروع الثقافي الكويتي حمل على عاتقه أزمة الثّقافة العربية منذ سبعينات القرن العشرين.**

عدّة مجلّات فكرية تعنى بالثّقافة والمسرح وترجمة النّصوص الإبداعية العالميّة. وممّا لا شكّ فيه أنّ أحمد مشاري العدواني (صاحب كلمات النّشيد الوطني الكويتي) كان عنصرًا فاعلاً في بلورة فكرة سلسلة «عالم المعرفة»، ولذلك سنحاول أن نستفيد من تصديره للكتاب الأول من هذه السّلسلة حتى نفهم الفلسفة التي كانت تكمن وراء ظهور هذه السلسلة.

أكّد العدواني أنّ هذه السلسلة الشهرية جاءت استجابة لحاجة «القارئ العربي الماسة إلى الكتاب الذي يجعله مواكبًا لأحدث التّطورات في مجالات المعرفة»[2]، وهذا يعني أنّ سلسلة عالم المعرفة حملت منذ بدايتها الهمّ العربي، وحاولت أن تجد حلولا لثقافة عربية مأزومة عانت قرونًا

(2) حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 1، 1978، سلسلة: عالم المعرفة، ص 5 (التصدير)

من الزّمن الجهلَ والضّياع. فقد أدرك الإنسان العربي تأخّر العرب والمسلمين في المعرفة والثقافة، وحاول بعض المثقفين تدارك الأمر من خلال الارتماء في أحضان الغرب وتقليده والقطع مع الهويّة الإسلامية والثقافة العربيّة الأصيلة، ولكنّ هذا الصّوت ظلّ خافتًا لأنّه غيّب هموم الأمّة وذاكرة أفرادها، وعلى هذا الأساس رأى أحمد العدواني أنّ العربيّ «في حاجة إلى ثقافة تجمع بين روح العصر وروح الأمّة معا»[1]، وهذه الحاجة ملحّة لأنّ الثّقافات الغربية بعد أن لبّت حاجيات مجتمعاتها الغربية زحفت على العالم العربي «لتعصف بكيانه ولتفقده هويته ولتزعزع ثقته بماضي أمته وبحاضرها وبمستقبلها»[2]. وهذا يعني أنّ سلسلة عالم المعرفة اضطلعت بمهمتين رئيسيتين ومتكاملتين في الآن ذاته، تكمن المهمة الأولى في إعادة الاعتبار للهوية العربيّة، وتأصيل ثقافتها، وبناء شخصيّة عربية مثقفة متوازنة ومتجذّرة في بيئتها الثقافية، أمّا المهمة الثانية فاهتمت بالانفتاح على الثّقافات الأخرى، ومواكبة التحوّلات العلميّة والثّقافية المؤثّرة على مستوى العالم، لذلك راهنت سلسلة عالم المعرفة على ترجمة عدّة كتب مهمة في مجالات معرفية مختلفة، كما اختارت مواضيع مهمّة تجمع بين الأصالة والمعاصرة[3]، وتشكّل رؤية ثقافيّة طموحة.

لم يكن اختيار تلك المواضيع صدفة بل خضع إلى خطة محكمة وسياسة طويلة المدى، مازلنا نستشعر أنفاسها اليوم بعد أربعين سنة من انطلاقة هذه السّلسلة. لعب أحمد العدواني دورًا رياديًا في اختيار المواضيع والمؤلفين، واعتمدت اللّجنة المشرفة

(1) حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 1، 1978،، ص 5

(2) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص5

(3) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 6

على السلسلة خطّة ذكيّة وفاعلة، تتمثّل في الاتصال بالأكاديميّين والجامعيّين «للكتابة في موضوعات نراها مهمة أو في موضوعات يرونها هم مهمّة ولا تتعارض مع السياسة المرسومة للسلسلة»[1]. وعلى هذا الأساس كانت مواضيع سلسلة «عالم المعرفة» دقيقة ومفيدة تمسّ وجدان القارئ العربي وعقله. ولقد اختار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أن يستهلّ هذه السلسلة بكتاب يتحدّث عن «الحضارة»، وفي هذا الاختيار عبر ودلالات.

اضطلع بتأليف الكتاب الأوّل من سلسلة «عالم المعرفة» المؤرخ المصري حسين مؤنس (ت1996م)، وكان اختياره مقصودا، فالرّجل يتقن عدّة لغات (الفرنسية والانجليزية والأسبانية والعربية..) ومارس فنّ التّرجمة منذ بداية شبابه، وسافر كثيرًا إلى أوروبا وأمريكا الجنوبية، وتواصل مع عدد كبير من المستشرقين حينما كان مدير معهد الدّراسات الإسلامية بأسبانيا، كما أشرف على مشروع ثقافيّ انطلق في منتصف خمسينات القرن العشرين تحت مسمّى مشروع «الألف»، وكان يهدف إلى نشر ألف كتاب، تُرجم بعضها إلى اللغة العربية، وأُلّف بعضها الآخر بلغة الضاد، وبيعت كتب هذه السّلسلة بأسعار زهيدة.

> **لم يكن اختيار المواضيع صدفة بل خضع إلى خطة محكمة وسياسة طويلة المدى، مازلنا نستشعر أنفاسها اليوم بعد أربعين سنة من انطلاقة هذه السّلسلة.**

اختار حسين مؤنس أن يتحدّث في الكتاب الأوّل من سلسلة «عالم المعرفة» عن «الحضارة»، ولم يكن ذلك الاختيار اعتباطيا، فالأمّة العربية تعيش أزمة حضارية متعدّدة الوجوه، ولا يمكن إصلاح الحال إلاّ بولوج كلّ مسالك الحضارة، وفهم تحدّياتها، والإبداع من خلالها. ولقد أكّد حسين مؤنس ندرة من تكلّم في الحضارة، وعبّر عن ذلك قائلا: «أوّل ما أحبّ أن يعرفه القارئ هو أنّ التأليف في موضوع الحضارة على النّحو الذي يراه بدفتي هذا التأليف أمر جديد»[2]. وهدف مؤنس أساسا من الكتاب إلى «تقريب

(1) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 5

(2) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 7

معنى الحضارة»[1]، كما أن الكتاب لا يهدف إلى تقديم أجوبة علميّة، ومردّ ذلك أنّ «هذا الكتاب لا يؤلّف لتقرير حقائق ثابتة بل لفتح باب التّفكير والمناقشة»[2]. وهذا يعني أنّ سلسلة «عالم المعرفة» راهنت من خلال هذا الكتاب على تنمية الحسّ النقدي لدى القرّاء، وإثارة الأسئلة الإشكالية التي تدفع إلى البحث والتفكير.

لم يكن هذا الكتاب استثناءً في تاريخ سلسلة «عالم المعرفة»، فأغلب الكتب المنشورة تناولت المسألة الحضاريّة من زاوية مخصوصة أو من خلال معارف مضبوطة، ولا غرابة أن نجد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت يعيد طباعة كتاب «الحضارة» لحسين مؤنس مع المحافظة على شكل الكتاب والتّصدير والتّقديم. كما صدر ضمن السلسلة مجموعة كتب تتعلق بالحضارة عموما[3] أو الحضارة الإنسانية بصفة أدقّ[4]،

فتحدثت عدّة مؤلفات عن الإنسان باعتباره مشيّد الحضارات وغايتها في الآن ذاته، كما تحدثت إصدارات سلسلة «عالم المعرفة» عن الإنسان في علاقته بالطّبيعة والبيئة[5]، وعلاقته بالعلم والتكنولوجيا[6]، وحقوقه[7] ومستقبله في هذا الكون.

ومن خلال هذه المؤلفات كلّها

(1) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 7

(2) حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص 7

(3) انظر مثلا: الحضارة و مضامينها تأليف: بروس مازليش ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 412، 2013، ترجمة: د. عبد النور خراقي.

(4) انظر: دونالد ر. هيل، لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية، سلسلة «عالم المعرفة»، عدد 305، 2004، ترجمة: أحمد فؤاد باشا.

(5) انظر على سبيل المثال: جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، عدد 189، سبتمبر 1994، ترجمة: السيد محمد عثمان، وكذلك : إيان ج. سيمونز، البيئة والإنسان عبر العصور عدد 222، يونيو 1997، ترجمة: السيد محمد عثمان.

(6) عدّة كتب تناولت هذه المواضيع، ولا يمكن ذكرها كلّها ولعلّ أهمها: العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، تأليف: زهير الكرمي، عدد5، مايو 1978، و الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، تأليف: عبد المحسن صالح (ط1: عدد 15،1979 وط2 : عدد235، 1998)،وكذلك الآلة قوة وسلطة: التكنولوجيا والإنسان منذ القرن 17 حتى الوقت الحاضر، تأليف: آر. إيه. بوكانان، ترجمة: شوقي جلال، عدد 259، 2000.

(7) انظر على سبيل المثال: تشارلز آر. بيتز، فكرة حقوق الإنسان ، عدد 421، 201، ترجمة: شوقي جلال.

لا يمكن أن نفهم رسالة سلسلة «عالم المعرفة» إلاّ إذا وضعناها في سياقها الثقافي، إذ لم تكن هذه السلسلة حدثا اعتباطيا أو عملا نشازا، بل كانت نتاجا لمجهودات جمّة اعتنت بالثقافة في دولة الكويت.

حاولت سلسلة «عالم المعرفة» أن تبشّر بإنسان جديد «متحرّر من الجهل والمرض والفقر»[1]، وفي هذا السّياق تتنزل مؤلفات السلسلة المتعلقة بقضايا الإنسان المعاصر وقضايا «المخدّرات والمجتمع» و«عالم يفيض بسكّانه» و«البيئة وقضايا التّنمية والتّصنيع» و«الاستبعاد الاجتماعي» و«التلوث مشكلة العصر»...

لقد أدركت سلسلة عالم المعرفة أنّ الذّات لا تنفصل عن الآخر، لذلك اهتمت إدارة السلسلة بالحضارة العربية الإسلامية في بعدها الإنساني، وحاولت أن تعرّف بتراث الإسلام (1-2) في أبعاده المختلفة، فتحدثت عن المساجد، والحب في التراث العربي، والإسلام والشعر، وجمالية الفن العربي، والمدينة الإسلامية، والموسيقى العربية وموقع العود فيها، وجحا العربي، والموشحات الأندلسية، وأدب الرحلات، كما تناولت سلسلة عالم المعرفة اتجاهات الشعر العربي المعاصر، والثّقافة الألبانية في الأبجدية العربية، والموسيقى الأندلسية المغربية، وتاريخ إيران السياسي (...).

عملت سلسلة «عالم المعرفة» على إعادة الاعتبار للحضارة الإسلامية وإحيائها من خلال الانفتاح على المعارف الحديثة وما حققته الإنسانية من إنجازات وإبداعات، وسلكت في ذلك عدّة مسالك أهمها التعريف بإسهامات المسلمين الحضارية[2]، وترجمة أهمّ ما كُتب في الحضارة الغربية المعاصرة. وبقدر ما تحدّثت السلسلة عن حكمة الغرب، تحدثت أيضا عن حكمة الشرق وعلومه في جزأين متتالين، وفي كتب أخرى متفرقة تناولت إسهامات العرب في العلوم، والآداب، والفلسفة، والمعمار، والموسيقى، والملاحة وعلوم

(1) أمارتيا صن، التنمية حرية: مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد 303، 2004.

(2) نذكر على سبيل المثال، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، عدد 131/، 1988، وكذلك: أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحارة عند العرب سلسلة عالم المعرفة، عدد13، 1979.

البحـار، والآداب السّـلطانية، والمنظومة الأخلاقيـة. وهـذا الأمـر مفيـد فـي بنـاء شـخصية عربيـة جديـدة طموحة، متمسـكة بأصالتها ولكنّهـا منفتحة على العالـم ومؤمنـة بالعلـم وآلياتـه، فالعلـم أسـاس البنـاء الحضـاري، وهـو الجامع بيـن الأصالـة والمعاصـرة، ولا خـلاص دون التسـلّح بالفكـر العلمـي. وعلى هذا الأسـاس ركّـزت سلسـلة عالـم المعرفة علـى بنـاء العقـل العلمـي وتجذيـره في الثّقافـة العربيـة، ولذلـك اهتـمّ الكتاب الثّالـث مـن السلسـلة بالتفكيـر العلمي، تحـدّث فيـه مؤلّفـه فـؤاد زكريـا عـن أهمية «التفكير المنظم الذي نسـتخدمه فـي شـؤون حياتنـا اليومية، أو النّشـاط الـذي نبذلـه حيـن نمـارس أعمالنـا المهنيـة المعتـادة»[1]. وهـذا يعنـي أنّ التفكيـر العلمـي لا يخـصّ فئـة العلمـاء فحسـب، بـل يشـمل مختلـف شـرائح المجتمع، حتى يسـتطيع الإنسان العربي المعاصر أن يفكّـر بعقلانية ورؤية علمية استشـرافية.

ركّـزت سلسـلة عالـم المعرفـة على دراسـة «ظاهـرة العلـم الحديـث»، وتبسـيط المعـارف الحديثـة، وتحديـث

> **أدركت سلسلة عالم المعرفة أنّ الذّات لا تنفصل عن الآخر، لذلك اهتمت إدارة السلسلة بالحضارة العربية الإسلامية في بعدها الإنساني.**

بنيـة العقـل العربـي، واستأنسـت فـي ذلـك بترجمـة أهـمّ مـا كُتب فـي حقول المعرفـة المختلفـة، ولـم تكـن خطّـة ترجمـة الكتـب اعتباطيّـة بـل كانـت بدورهـا مدروسـة حـقّ الدرس. نشـرت سلسـلة عالم المعرفـة أوّل كتاب مترجم تحت عنـوان «تراث الإسـلام»، واضطلع بتأليفـه كلّ مـن المستشـرق الألمانـي جوزيـف شـاخت (joseph Schacht تـ 1969م)، والمستشرق الانجليزي كليفورد بوزورث Clifford Edmund Bosworth تـ 2015م). صـدر هذا الكتـاب في جزأين، واضطلـع بترجمتـه ثلاثـة أعـلام مـن جهابـذة الترجمـة والفكـر فـي العصـر الحديـث، وهم محمد زهير السـمهوري، وحسـين مؤنس، وإحسان صدقي العمد. ولـم يكـن اختيـار هذيـن المستشـرقين مصادفـة، فكلاهمـا عـرف بدراسـاته الجريئـة فـي مجـال الفقـه والشّـريعة والتاريـخ الإسـلامي. ولقـد طـرح هـذا

(1) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، عدد3، 1978، ص 5.

الكتاب قضايا خطيرة تستحق التفكير والتمحيص، وأكّد شاخت في مقدّمة هذا الكتاب أنّ «كتاب «تراث الإسلام» يتناول الإسلام على أنّه حضارة وليس دينًا فحسب»[1]، وينسجم هذا مع اهتمام سلسلة عالم المعرفة بالبعد الحضاري كما أسلفنا القول.

لقد اهتمت سلسلة عالم المعرفة بالتّرجمة اهتماما كبيرًا، وهدفت من خلال ذلك إلى تقريب المعارف الحديثة من القارئ العربي، وتميّزت هذه الترجمات بالإتقان وحسن اختيار الموضوع والمؤلف، فقد شملت الكتب المترجمة مختلف المجالات العلمية والاجتماعيّة والأدبية، كما تناولت علاقة الغرب بالعالم (في جزأين) بصفة عامة، وعلاقة العرب بالحضارة الغربية بصفة أخصّ[2]، كما بحثت في قضايا شغلت الإنسان العربي، فتحدثت الكتب المترجمة عن «نظريات التّعليم» (عدد 18) و«العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث» (عدد 112)، و«حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي» (عدد 150)، و«الأطفال والإدمان التّلفزيوني» (عدد 247)، و«الأنماط الثّقافية للعنف» (عدد 337).

أسهمت الكتب المترجمة في تطوير المعرفة في الوطن العربي وتعميق الفكر العلمي، ولقد ساهم نخبة من الجامعيين والأدباء العرب في ترجمة هذه الكتب، فأبدعوا وتباينوا في إبداعاتهم بحسب خلفياتهم العلمية

(1) جوزيف شاخت، كليفورد بوزورث، تراث الإسلام، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 8، 1985، (الجزء الأول)، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، ص 18.

(2) انظر على سبيل المثال: أ.ل.رانيلا، الماضي المشترك بين العرب والغرب،سلسلة عالم المعرفة عدد 241، ترجمة: نبيلة إبراهيم، وكذلك: أنتوني بلاك، الغرب والإسلام، سلسلة عالم المعرفة، عدد 394، 2012، ترجمة: فؤاد عبد المطلب.

والأدبية واللغوية. ومن أهمّ من ترجموا كتبًا في سلسلة عالم المعرفة نذكر الأديب الفلسطيني حسن سعيد الكرمي (تـ 2007م)، والفيلسوف المصري فؤاد زكريا (تـ 2010م)، وعالم الاجتماع عبد الوهاب المسيري (تـ 2008م)، والنّاقد البحريني المعاصر إبراهيم عبد الله غلوم، والطبيب السّعودي عزت شعلان، وعالم الكيمياء مصطفى إبراهيم فهمي، وخبير التّرجمة الفلسطيني كمال خلايلي، والمؤرخ محمد الأرناؤوط، وأستاذ اللغة الفرنسية السّوري رضوان ظاظا، وأستاذة الأدب الشعبي المصرية نبيلة إبراهيم (تـ2017م)، وعالم الاجتماع العراقي فالح عبد الجبار (تـ 2018م)، والمترجمة والروائية السورية سمر الشيشكلي (...)

من الصّعب الحديث - في هذا المجال الضيق- عن كلّ إسهامات سلسلة عالم المعرفة في مجال التّرجمة وتعريب المعارف والفنون، كما يصعب الحديث عن المترجمين كلّهم، إذ تعاملت السّلسلة مع أطياف مختلفة من المترجمين، فقد عوّلت على مترجمين محترفين ومعروفين، واعتمدت أيضا على مترجمين مغمورين[1] ولكنّهم مبدعون. شارك في الترجمة أشخاص ومؤسسات[2]، رجال ونساء، شيوخ وكهول وشباب، عرب يقيمون في أوطانهم وعرب مغتربون في المهجر، علماء وأدباء وأطباء وخبراء. ونتج عن هذا التنوّع ثراء في مضامين الكتب المترجمة، وتعدّد في الرؤى والأساليب، وكان بالإمكان أن تكون هذه السلسلة الرائدة أكثر تميّزًا وشمولا لو نوّعت من اللغات المترجم منها، فاللغة الانجليزية استأثرت بنصيب الأسد، ولعلّنا نجد في مستقبل الأيام - ضمن سلسلة عالم المعرفة- كتبا مترجمة عن لغات عالمية أخرى، أسهمت بدورها في تطوّر الحضارة البشرية.

لا نبالغ إذا قلنا بأنّ «سلسلة عالم المعرفة» أصبحت مدرسة نشأت

(1) نذكر على سبيل الذكر لا الحصر: موفق شخاشيرو، وأحمد حسان عبد الواحد، وأحمد عبد الله عبد العزيز، وأحمد فؤاد بلبع، وعلي حسين حجاج، وأحمد حسان عبد الواحد، وحسن عيسى، ومحمد كامل عارف،وغسان عبد الحي أبو فخر، نوفل نيوف، وأحمد عبد العزيز سلامة، ونافع أيوب لبس، وحسن البنا عز الدين، ومحمد غياث الزيات، وجمال الرفاعي، ومحمد عبد الواحد محمد، وعبد العزيز حمدي، وعبد الفتاح الصبحي...

(2) انظر على سبيل المثال: جون ب. ديكسون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، سلسلة عالم المعرفة، عدد 112، 1987، ترجمة: شعبة الترجمة باليونسكو.

في أحضانها أجيال من المثقفين والمبدعين، راهنت هذه المدرسة على تطوير ملكة التفكير العلمي البنّاء والنقد المنهجي الشجاع، واستطاعت من خلال كتبها المتنوّعة أنّ توجّه القارئ العربي نحو مسالك جديدة لم يعهدها من قبل، ورؤى مستحدثة ما كان يشغل باله بها. واستحالت علاقة السلسلة بقرائها علاقة حبّ وعشق، ينتظر فيها العاشق ظهور حبيبه بفارغ الصبر، وكلّما حلّ شهر جديد تساءل أصدقاء سلسلة عالم المعرفة عن موعد صدور العدد الجديد وموضوعه، وبمجرّد صدوره وتوفره في المكتبات، يقبل عليه القراء بنهم وعشق، وبسرعة يختفي من المكتبات، ولا يظفر عدد كبير من القراء بنسخة منه، فيستاؤون ويتساءلون ويتهامسون، ويبحثون عن نسخة تائهة هنا أو هناك..

لم يكن حديثنا هذا ضربا من المبالغة، بل شهادات وذكريات عشناها واستمتعنا بتفاصيلها، بذلنا ما بوسعنا منذ بداية شبابنا حتى نجمع أكثر ما يمكن من أعداد هذه السلسلة المتميّزة، وكم كنا نستمتع بقراءة كتبها وتبادل الآراء مع الأصدقاء بخصوصها، كانت جزءا من حياتنا وحياة شريحة واسعة من المثقفين المبدعين والطلبة الجامعيّين.

أربعون سنة مرّت على إشراقة هذا الأمل، أربعة عقود من العطاء والإبداع في زمن قلّ فيه العطاء والإبداع. ورغم ما مرّت به المنطقة العربية (وما زالت تمرّ به) من أزمات وانتكاسات ظلّت سلسلة عالم المعرفة شامخة تتحدّى الصعاب، وتقاوم اليأس ببصيص نور تنشره في مطلع كلّ شهر مع كتاب جديد يثير الاستفهامات ويطرح الإشكاليات ويدفع القراء نحو التفكير والتّطوير والرغبة في توسيع المعارف وتدقيقها، و«رؤية الأشياء كما هي»[1] لا كما ترسمها الذّاكرة وينسجها الخيال. وممّا لا شكّ فيه أنّ سلسلة «عالم المعرفة» ستواصل رسالتها بأكثر عزيمة وجرأة، وستنشر المعارف الجادة والمفيدة، وستسهم في بناء العقل العربي المعاصر في زمن شاعت فيه الاضطرابات، واضطربت فيه المفاهيم والمصطلحات، وشاعت فيه الاستفهامات والمجازات. فكيف ستكون سلسلة عالم المعرفة بعد عيدها الأربعين؟

(1) جون ر. سيرل، رؤية الأشياء كما هي: نظرية للإدراك، سلسلة عالم المعرفة، ع دد 456، 2018، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم

قراءات

الروائي العالمي أورهان باموق..

قراءة متقاربة في روايتين متباعدتين

بقلم: سامر أنور الشمالي*

الأديب (أورهان باموق) المولود في اسطنبول عام 1952 هو أشهر روائي تركي معاصر، فقد وضعته جائزة (نوبل) عام 2006 في مصاف الأدباء الأكثر شهرة في العالم وهو في الرابعة والخمسين من العمر متوجة مسيرته الأدبية بعدما صدر له سبع روايات، معظمها نالت جوائز أدبية تركية وعالمية، وترجمت إلى عدة لغات منها العربية.

وتميز الكاتب برواياته التي تتحدث عن مدينته (اسطنبول) وناسها مزيلا غبار النسيان عن تاريخها، ومستعيدا الذكريات المرتبطة بالأماكن والأشياء، وكأنه في رواياته مجتمعة يروي حكايته التي تتقاطع مع حكايات الآخرين أحيانا، في سرد ينسجه بحسب مزاجه الخاص وإن خرج، عن الأنماط التقليدية المتعارف عليها، وبذلك شكل أسلوبا عرف به وتميز من خلاله. كما تميز بمواقفه السياسية الجريئة في الدفاع عن حقوق الإنسان عامة، وإدانته جرائم الإبادة التي قام بها الجيش العثماني إبان الحرب العالمية الأولى، وتلك الانتقادات التي صمت عنها كتاب تركيا جعلته يقف وحيدا أمام المحكمة التركية بتهمة إهانة الأمة. ولكن نيله للجائزة العالمية وتسليط أضواء الإعلام عليه كان كفيلا بإحراج السلطات في (أنقرة) وإيقاف عقوبات السجن التي كانت تتربص به، فقد صار نجم الأدب التركي المعاصر دون منافس.

* ناقد سوري.

أورهان باموق

وفي معرض حديثنا عن أول كاتب تركي ينال (نوبل) نشير إلى أن شاعر تركيا الكبير (ناظمت حكمت) 1902-1963 المعروف بدوره الأدبي والسياسي لم يحظ بها، كذلك الكاتب التركي (عزيز نيسين) 1915-1995 صاحب الإنتاج الغزير في مجالات الرواية والقصة والمسرحية والمميز بأدبه الإنساني الساخر لم ينلها أيضا، رغم أن الأدبيين يستحقانها عن جدارة. وربما المواقف السياسية للمذكورين لم تساعدهما في نيل الجائزة التي تتناقض مع توجهات (نوبل) آنذاك، بعكس موقف (باموق) الذي ساعده انتقاده للمسكوت عنه في دعم ترشيحه للجائزة المثيرة للجدل.

- 1 -

(الكتاب كشف لي معنى وجودي)

ص 34.[1]

يفترض النقاد أن العتبة السردية هي المفتاح الأول للنص- في حال أحسن المؤلف اختياره- ولعنوان الرواية التي سنتناولها بالدراسة أكثر من إشارة قصد منها (باموق) فتح باب الدلالة على معان عدة تضمنها سرده، فقد أحسن اختيار العنوان من هذه الزاوية.

(الحياة الجديدة) عنوان الرواية، وهو أيضا عنوان الكتاب الذي وضعه (رفقي) أحد أبطالها، وهذا الكتاب هو محور

(1) الاقتباسات من رواية (الحياة الجديدة) عدا المشار إليها في هامش خاص.

الرواية. فالرواية من هذا المنظور كتاب عن كتاب. وهذا الكتاب مغلق بطبيعته الغامضة داخل الرواية المفتوحة على دلالات عدة احتواها السرد الذي لم يفصح عنها بيسر.

(الحياة الجديدة) عنوان كتاب لـ(دانتي)[1] اقتبس منه (رفقي) لكتابه، وأدرجتْ بعض هذه الاقتباسات في رواية (باموق) إذاً ثمة صفحات متشابهة بين الكتاب والرواية، كما أنّ هناك وجوها للشبه بين المؤلفين أيضا؟.

(الحياة الجديدة) هي الحيوات التي عاشتها الشخصيات، أو التي حاولت بلوغها والوصول إليها بعد قراءة الكتاب.

(الحياة الجديدة) اسم نوع من حلوى الكراميل الذي شغف به بطل الرواية في طفولته حيث كان يستمتع بتذوقها كما الكلمات الشهية التي عثر عليها لاحقا في كتاب (رفقي) فثمة ربط خفي بين طعم الحلوى اللذيذ وطعم الكلمات الشهية التي التهمها بشغف بطل الرواية الكتاب. ولعل (باموق) يبحث عن مثيل لهذه العلاقة بين روايته والقراء، ولكن هذا -برأيي الشخصي- لن يتحقق لأسباب سنبينها لاحقا!.

❖ ❖ ❖

(1) دانتي: شاعر ايطاليا الكبير 1265-1321.

كان البطل- في الرواية- يلتقط بعينيه تماثيله وصوره في شوارع تركيا وساحاتها دون أن يبدي إعجابه أو استياءه، وهذه إشارة لا يجب إغفالها عند قراءة الموقف السياسي في هذه الرواية التي لم تبتعد عن شؤونها إلى حد ما!.

ويبدو أن صورة تركيا المعاصرة غير واضحة في عيني (عثمان) الذي لا يقف على أرض صلبة، كما يبدو مستقبله ضبابيا، فضلا عن حياته القصيرة. أما بطل الكتاب فلا نعرف عنه غير اسمه.

وقد تناول (باموق) موضوع الهوية والانتماء بعدة أساليب في أكثر من رواية وهو يتحدث عن عالم (اسطنبول) التي كتب فيها وعنها معظم روايته بحب وشغف، تلك المدينة التي كانت عاصمة (البيزنطيين) ثم عاصمة (العثمانيين) وهي الآن المدينة العريقة والحديثة بموقعها على حدود عالمين يتجدد الصراع بينهما بأوجه متباينة يطبعها كل عصر بطابعه.

(إن الكتاب يحكي قصة حياتي)

ص50.

(قرأت كتابا في يوم فتغيرت حياتي كلها. منذ الصفحة الأولى تأثرت بقوة الكتاب؛

فشعرت بجسدي ينأى بنفسه ويبتعد عن الكرسي؛ حيث جلست أقرأ الكتاب الذي كان أمامي فوق المائدة. وبالرغم من شعوري بانعزال جسدي فإن كل إحساسي ظل متوحدا فوق هذه المنضدة حتى أن تأثير الكتاب لم يكن على روحي وحدها، بل كان أيضا على نواحي شخصيتي، كان تأثيرا قويا لدرجة أن الضوء انبعث من الصفحات وأنار وجهي وغشى تألقه عقلي وتفكيري ولكنه منحه أيضا صفاء الفكر، كان الضوء من النوع الذي من خلاله يمكنني إعادة تشكيل نفسي، ويمكن أن أضل فيه طريقي، فلقد شعرت فيه بالفعل بظلال وجود ما يجب أن أعرف وأومن به، جلست إلى المنضدة أقلب الصفحات وعقلي واع بالكاد بأنني أقرأ وحياتي كلها تتغير وأنا أقرأ الكلمات الجديدة في كل صفحة، وشعرت أنني لست مستعدا تماما لكل شيء كان يحدث لي) 23.

هكذا يفتتح (باموق) روايته على لسان بطلها عند الحديث عن الكتاب الذي كان محور الرواية الأبرز، ورغم ذلك لا معلومات وافية عنه، بل عن تأثيره في نفس قارئه، وانعكاس هذا التأثير على بدنه أيضا. ولعلنا نستطيع تكوين فكرة قريبة منه برصد ما قيل عنه، وغالبا بلسان (عثمان) ومن وجهة نظره الخاصة: (في هذه الليلة قرأت الكتاب مرة أخرى، أستسلم له، وأتوسل لكي أتحطم. قرأته بإعجاب، مملكات جديدة، مخلوقات جديدة، وصور جديدة ظهرت أمامي، وتراءت لي سحب من نار، محيطات من ظلام، أشجار بنفسجية، أمواج قرمزية. ثم كما يحدث في الصباح في الربيع عندما تشرق الشمس في بعض الأحيان

> **تناول (باموق) موضوع الهوية والانتماء بعدة أساليب في أكثر من رواية وهو يتحدث عن عالم (اسطنبول) التي كتب فيها وعنها معظم روايته بحب وشغف.**

فورا بعد سقوط الأمطار فجأة رأيت في مقابل اقترابي الواثق المتفائل الانسحاب من المباني السكنية الكريهة، ممرات ملعونة، نوافذ خربة، الصور الفوضوية في عيني وعقلي اتضحت) ص64.

لقد أذهل الكتاب (عثمان) بما قدمه له دفعة واحدة عن أحوال الحياة الجديدة المنشودة، حتى خشي أن يسيء الفهم والتفسير، أو تكون قراءته دون العمق الكافي،

أو يقع في حماقات من الأجدر تجنبها، وأن يقضي حياته وراء البحث عن لغز لا يمكن فك سره، حتى شعر برعب غريب. ورغم ذلك لم يخطر له التخلص منه. بل كلما قلب صفحاته زاد التصاقا به وتعلقا بمحتواه، وهذا ما جعله يشعر كم هو وحيد في هذا العالم الكبير، وأنه في عزلة ودون مأوى، رغم أنه لا يزال يقيم في منزله وسط مدينته. ولكنه بدأ يرى العالم من حوله من زاوية مختلفة، حتى إن الشارع الذي قضى فيه طفولته رآه غريبا عنه، وكأنه يراه للمرة الأولى. ولعل ذاكرته التي عصف بها الكتاب العجيب فقدت ارتباطها بالمكان الذي عاش فيه حياته كلها. وفي دوامة حالة التغريب هذه تظهر أولى التناقضات الداخلية لـ(عثمان) كشخصية تعيش ظروفها، وكشخصية في عمل أدبي أيضا!.

❖ ❖ ❖

عاد (عثمان) بذاكرته إلى الذين مروا بتجارب مشابهة لتجربته: (عرفت أيضا عن هؤلاء الذين سهروا على قراءة كتب- لليلة كاملة- مثل (الإسلام والقيم الجديدة) أو (خيانة الغرب) وبعد ذلك تركوا الحانة وذهبوا إلى المسجد، يجلسون على الأبسطة المرشوشة بماء الورد، وبدأوا في التحضير للحياة الأخرى التي يتوقعونها بعد خمسين عاما أخرى. حتى إنني التقيت بشخص ما تأثر بكتب تحمل عناوين مثل (الحب يحررك) أو (أعرف نفسك)، وبالرغم من أن هؤلاء الناس من النوع الذي يؤمن بالنجوم والأبراج، فإنهم أيضا بإمكانهم القول بصدق: (هذا الكتاب قد غير حياتي بين ليلة وضحاها) 35.

إذاً حال بطل الرواية غير استثنائي، وهذا ما يبرر الانقلاب الكبير والفجائي الذي حدث له بعد قراءة كتاب واحد. كما نلحظ من أسماء الكتب المختارة أنها تتضمن إشارات صريحة لأفكار مر عليها (باموق) سريعا ضمن سياق الرواية المزدحمة بالأحداث والشخصيات، وعالجها بطريقة ملتبسة أظهرت غياب الموقف الجريء. كما نلحظ بروز الاعتراض الضمني على المظاهر الإسلامية، أو بمعنى أدق الإسلاميين الذين يريدون فرض أنفسهم بقوة في شوارع (اسطنبول) ومن طريقة تعامل السلطات الرسمية مع هذه الظاهرة، فثمة من يعلق في وضح النهار لافتات تدعو إلى إدخال الأطفال إلى مدارس تحفيظ القرآن، وثمة من يزيلها في الخفاء من قوات البوليس. ولا أرجح تملص (باموق) من الصدام المباشر مع التيار الديني أو السياسي، فقد تميز

بشجاعة مواقفه السياسية التي قادته إلى المحكمة. ولكن يبدو أنه عمل في هذه الرواية على أن يدخل ويدخلنا معه في سرداب معتم لا ينتهي بنور جلي!.

وجد (عثمان) أن هذا الكتاب يختلف عن سائر الكتب، ويستنهض من أعماق ذاكرته ما كان مدفونا فيها منذ سنوات، وكأنه يكتشف بين سطوره ذاته الضائعة بطريقة لم تجر في باله من قبل، وكأنه وضع من أجله دون البشر جميعا. ثم يتذكر- بعد وقوع سلسلة من الأحداث غير المتوقعة- أنه عرف مؤلفه العم (رفقي) في طفولته- كان صديق والده المتوفى- في المرحلة التي كان يتشكل فيها وعيه، وأنه آنذاك كان يقرأ للعم القصص المصورة التي كان يكتبها للأطفال، وأن الرجل الطيب كان يعطيه حلوى الكراميل اللذيذة، وأنه قال له ذات يوم إنه سيكتب كتابا يحكي فيه قصته، وسوف يمنح بطله اسمه، رغم أن (عثمان) حينها كان طفلا صغيرا لا يوجد في حياته أي حكايات يكتب عنها. وربما كانت هذه إحدى مزحات (رفقي) التي انتهت بمأساة، فهو كاتب سيئ الحظ.

❖ ❖ ❖

غلاف رواية (اسمي أحمر)

كتب (رفقي) الكثير من قصص الأطفال التي راجت في زمنها وقد أحبها الصغار. وخطر له حينها أن يوجههم بطريقة غير مباشرة، فكتب لهم قصصا من بيئتهم، كان يريد أن يكفوا عن متابعة قصص رعاة البقر من المسيحيين الأمريكان، ويقرؤوا قصصا قريبا من عالمهم عن الأبطال المسلمين من الأتراك. وتبدو الغاية مشروعة لكاتب ينتمي إلى مدينة (اسطنبول) التي يريد من أهلها الانتماء إلى تاريخها الشرقي والابتعاد عن الغرب.

ثم انتقل إلى التأليف للكبار، ونشر كتابه الوحيد باسم مستعار، رغم أنه ليس سياسيا في حزب محظور، ولا يدعو إلى التطرف والعنصرية كما نستنتج، فقد كان يكتب بنية طيبة للتسلية والمتعة، وهذا

يعني أن لا مبرر للتواري عن الأنظار. ولكن يبدو أن حدس (رفقي) في محله، فبعد اثني عشر عاما يُصادر كتابه من جهة رسمية، ويستدعى إلى التحقيق- كما وجهت الاتهامات إلى (باموق) بسبب كتاباته- ووعد (رفقي) المحقق ألا يعيد طباعة كتابه، أو يكتب أشياء على المنوال ذاته. والغريب أن المؤلف المشبوه تنازل عن كتابه بسهولة نتيجة وعد شفهي دون إصدار قانون ملزم بحظر الطباعة في حال كان المحقق يستند إلى حجة قانونية تبرر كل هذا الإضراب الذي أحدثه هذا الكتاب المريب؟!.

مع العلم أن النسخ المتداولة عددها يتراوح بين المئة والمئة والخمسين. أي لو وزعت بآلاف أو ملايين النسخ لتشكلت موجة عظيمة غيرت وجه تركيا المعاصر على أوراق الرواية لا غير، ولعل هذا الموضوع يصلح لجزء ثان من الرواية نفسها!.

(لقد قرأت كتابا ولقد فقدت عالمي كله) ص 134.

مصادفة يرى (عثمان) البالغ من العمر الثانية والعشرين الكتاب في يد فتاة أثارت اهتمامه، وتتكرر المصادفة مرة أخرى عندما يرى نسخة منه لدى بائع الكتب على الرصيف- نكتشف لاحقا أن الأمر كان مدبرا في المرتين- فيشتريه وقد عزم على التقرب من الفتاة الحسناء- تدعى جنان- بحجة الكتاب الذي يبدو في الشكل كغيره من الكتب، ثم يكتشف الشاب المتحمس للحب والحياة أن فيه قوة التأثير في النفوس كما العشق ذاته: (كان الحب مدمرا تماما كالضوء المنبعث من الكتاب على وجهي، مثبتا لي كيف حادت حياتي كلية عن الطريق) ص39. ونلحظ هنا أن القوة الكامنة في الكتاب والحب تكمن فيهما طاقة عدوانية، لهذا لن يكلل العشق المأمول بالمسرة، وينتهي دور الكتاب بكارثة.

أما نحن القراء فندهش بدورنا عندما نكتشف أن الكتاب الغامض ليس في المجالات الروحية والدينية- كما قد نظن للوهلة الأولى- بل أرضي أكثر مما ينبغي، وملوثا بأهواء البشر وأطماعهم: (لم أستطع فهم كيف أنني أصبحت منساقا لهذه المشاعر، ولكن ربما أكون قد فهمتها فقط كيف أفقدها، محاولا أن أرى طريقي خلال جرائم القتل، الحوادث، الموت والعلامات المفقودة التي امتلأ بها الكتاب) ص26. لهذا قد نتساءل بعجب ما حقيقة هذا الكتاب المريب حتى أذهل (عثمان) بهذه السرعة وغير مسار حياته ببساطة مثيرة للعجب. ربما الشعور بعدم الانتماء والافتقاد

إلى الحب جعل بطل الرواية يهوي بهذه العفوية في أول كتاب لامس أحلام الطفولة والأمنيات غير المتحققة، فبدا طوق نجاة لشاب يعاني الوحشة والضياع.

ولعل هذا لا يخص بطل الرواية بمفرده، فقد اجتاح الكتاب أوساط الشباب وأحدث في عقولهم ونفوسهم تأثيرا بالغا، حتى ظهرت مجموعة من قراء الكتاب أشبه بالمجموعات السرية. رغم أنه لا يمثل فكرا دينيا أو سياسيا بحسب المعلومات الشحيحة المتوفرة عن كتاب بهذه الأهمية في رواية طويلة.

❖ ❖ ❖

تتمحور حياة (عثمان) حول الكتاب الساحر الذي يعاف كل شيء لأجله، فلم يعد لديه ما يفعله غير قراءته، وحفظ كلماته، والكتابة منه، وكأنه فقد إرادته المستقلة وأصبح ظلا للصفحات التي تتكرر أمامه إلى ما لا نهاية: (أخرجت قلمي الحبر وبدأت أكتب كل ما أضافه الكتاب لي، جملة.. جملة، في الكراسة. بعد كتابة كل جملة من الكتاب، كنت أذهب إلى الجملة التالية ثم التي تليها. وعندما يبدأ الكتاب فقرة جديدة، أبدأ أنا أيضا فقرة جديدة، وأدركت بعد فترة أنني كتبت بالضبط نفس الفقرة كما هي في الكتاب.) 65. وهذه العملية تعيدنا إلى (محمد) الطالب في الجامعة نفسها، وقد تخلى عن اسم (ناهيت) وأراد من الجميع معاملته بحسب شخصيته الجديدة لأنه أراد ترك حياته السابقة وراء ظهره، وقد عرف الكتاب المثير للشكوك.

> **من الروائيين المغامرين (أورهان باموق) الذي لم يستسلم للسرد الروائي التقليدي، وحاول التجريب ضمن تيارات السرد المنطوية تحت راية الحداثة.**

واسم (محمد) لا يدل على اعتناق الإسلام بالضرورة، فهذه الشخصية المترددة المتناقضة غير معنية بالأديان. ولعل الاسم إشارة إلى السلطان العثماني الملقب (محمد الفاتح) الذي دخل (القسطنطينية) بجيوشه ممهدا لتغيير اسمها إلى (اسطنبول) وما يرجح هذا أنه غير اسمه للمرة الثالثة إلى (عثمان) ومن الجدير بالذكر أن (عثمان) و(جنان) ينتحلان اسمين أيضا- أثناء رحلتهما المشتركة- فلعبة الأسماء لها دورها ودلالاتها في هذه الرواية.

❖ ❖ ❖

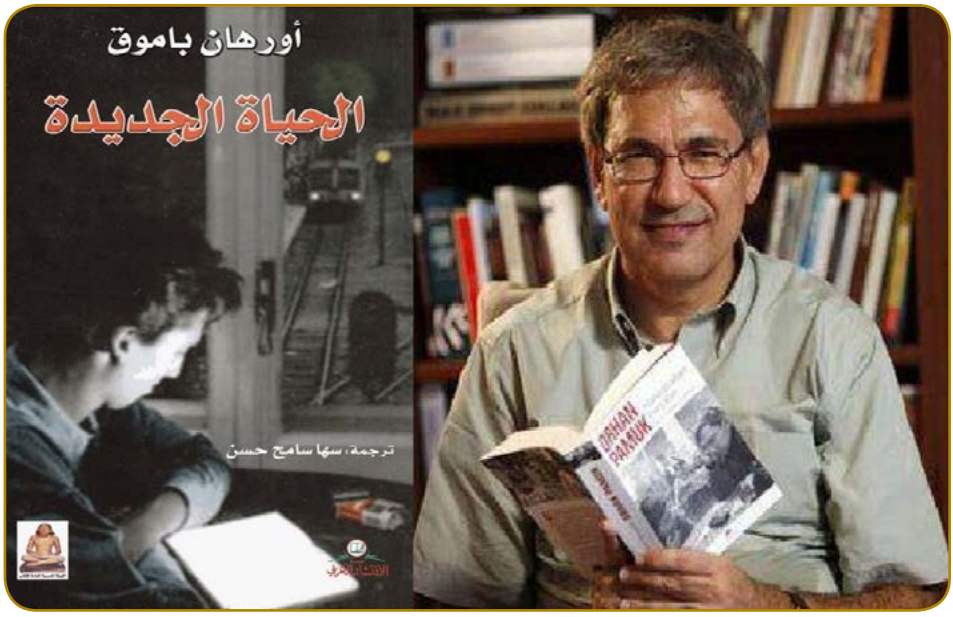

غلاف رواية (الحياة الجديدة)

من شخصيات الرواية من يقول: (أحيانا كنا نقضي أسابيع في فقرة واحدة، وأحيانا أخرى يكون كل شيء واضحا كالجرس فور قراءته) 108. وهذه المبالغات أتت لتبرير التأثير الكبير الذي يحدثه الكتاب على نفوس قرائه لسبب مجهول. أما مؤلفه نفسه فيؤكد ل(محمد) الذي بحث عنه حتى وجده، وطالبه بكشف أسرار الكتاب، فاخبره أن كتابه لا يحتوي على أي أسرار!. حتى إن (عثمان) الذي يعرف (رفقي) عن قرب وجد أن شخصيته لا تنسجم مع مضمون الكتاب، فقال لتبرير هذا التناقض الحاصل: (الفائدة التي ترجى من الكتاب لم تكن متفقة مع أهداف الكاتب، كان الكاتب بيروقراطيا متقاعدا فقيرا، ذا شخصية ضعيفة لم يكن حتى يملك شجاعة معتقداته) ص183.

وربما من الممكن تفسير حضور الكتاب الطاغي بأن القراء كانوا يبحثون عن أنفسهم بين أوراقه، لهذا خدعوا أنفسهم، وعاشوا أوهامهم. ولكن رد هذا التفسير ميسر، فلماذا هذا الكتاب دون سواه ما يجعل القراء يغوصون في ضلالاتهم؟!.

❖ ❖ ❖

(محمد) الذي أوهم الناس بموته وتوارى عن الأنظار، يدعي أنه ينسخ

الكتاب النادر بأجر من أجل المال، ويعمل كل يوم لساعات طويلة لإنجاز نسخة كل بضعة أيام. ولكن في الحوار ذاته يقول: (أنتظر بصبر الإلهام أن يأتي لأنني لا أرغب في كتابة كلمة واحدة لا أشعر بقوتها داخلي) ص292. وهذا التناقض في مواقف الشخصية كان مربكا في فهمها، والتفاعل معها بالنتيجة. فهذا الاضطراب لم يكن على الصعيد النفسي الداخلي، بل على صعيد التصرفات غير المقنعة كشخصية روائية، وهذا ما يبدو في مواقف عدة للشخصية نفسها، ولشخصيات أخرى أيضا.

وكان (عثمان) قد اجتمع بهذا الزميل في الجامعة بناء على نصيحة (جنان) التي قالت عنه: (لقد ذهب بالفعل إلى العالم الذي في الكتاب ونجح في أن يعود) ص46. ولكن هذه التجربة الملتبسة جعلته يفقد إيمانه بذلك العالم. ولكن (عثمان) يرفض تغيير رأيه بسهولة مرة أخرى وقد بات الكتاب العجيب معينا له في فهم الحياة من حوله كما يزعم.

❖ ❖ ❖

يعتقد والد (محمد) الدكتور (فاين) أن ثمة مؤامرة تحاك ضد تركيا للتخلص من ذاكرتها الجمعية ونسيان ماضيها. هذا أيضا موقف صاحب معمل حلويات (الحياة الجديدة) وهذا الرجل العجوز أعاد تراجع حضور الحلويات التركية إلى المنتجات المستوردة القادمة من الغرب الذي يحطم بقوة المال والإعلام كل ما يعترض طريقه، وأن هذا أشبه ما يكون بحرب صليبية جديدة- وهذا يعيدنا لموقف (رفقي) من قصص رعاة البقر الأمريكان- ونجد تطابق موقف العجوزين الواضح والحاد، وأن كان لكل منهما مبرراته، فكل منهما يرى أن ما يأتي من خارج البلاد يدمر أصالته وعراقته، رغم أن هذه المفاهيم تبدو غير واضحة المعالم لدى أبطال الرواية عامة. لاسيما لدى جيل الشباب المنفتح على مظاهر الحياة الحديثة القادمة من الغرب، لهذا كان عرضة للتأثر بالكتاب الذي يعيد خلق قارئه بطريقة غامضة!.

وإذا كان صاحب معمل الحلويات بلغ التسعين وفقد بصره ولم يعد لديه القدرة على التصدي للموجات القادمة من البعيد فإن (فاين) لديه قوة المال ليفعل ما يفكر فيه، لقد أراد هذا المليونير الانتقام لابنه الذي تغيرت شخصيته بعد قراءة الكتاب، فانسحب من الحياة وانكفأ على نفسه، ثم استسلم للموت بحادث سيارة.

كان (فاين) قد خطط للقضاء على المؤامرة التي تحاك ضد بلده في الخفاء، أو ليحد من انتشارها وتأثيرها على جيل الشباب، فشكل شبكة من المخبرين لتعقب القراء المتحمسن للكتاب وتصفيتهم جسديا كحل أخير لا بديل عنه، وقتلت الشبكة خمسة منهم. ومن مهام هذه الشبكة أيضا مراقبة الابن الضال وحمايته، ولكن نتيجة خطأ ما أطلق أحد أفرادها النار على الابن، ولكنه نجا وأصيب بجرح سطحي، وهذه إحدى مصادفات الرواية الكثيرة!.

وأحس (محمد) بأنه مراقب أنى ذهب، لهذا وضع بطاقته بجانب جثة محترقة ونقلها إلى مقعده في الحافلة، واخذ بطاقة الميت- هذه الحيلة قام بها أيضا عثمان وجنان في رحلتهما المشتركة- ويدفن (فاين) الجثة المزيفة في مزرعته التي يستقبل فيها (عثمان) الباحث عن الحياة الجميلة، و(جنان) الباحثة عن الرجل الذي أحبته، فلم تقع في هوى (عثمان) الذي صارحها بحبه. ويهدي الدكتور (فاين) المولع باقتناء التحف والأسلحة مسدسا إلى (عثمان) الذي يدع (جنان) المريضة في القصر وينطلق باحثا عن (محمد) حتى يجده، ويتحدث إليه طويلا عن الكتاب الذي لم تكشف اسراره كلها، وعن (جنان) التي فر منها ليحميها من الموت الذي يتربص به، ولكن الموت أتاه بيد محدثه (محمد) الذي قتله بأعصاب باردة بالمسدس الذي أخذه هدية من والده ليزيحه من طريق (جنان) ثم يعود القاتل إلى مزرعة (فاين) دون الشعور بتأنيب الضمير تجاه الأب الذي أحبه لأنه يشبه ولده. ولكن (جنان) كانت قد رحلت إلى مكان مجهول. وبعد سنوات تصل لـ(عثمان) أخبار (جنان) التي تقيم في دولة أجنبية بعد زواجها من طبيب التقى به من قبل وحدثه عن الكتاب، ولكن الطبيب لم يتأثر به، ولم يوله أي اهتمام، وهذا كان من القلة التي نجت من تأثير الكتاب الذي نادرا ما يفلت القراء بيسر من بين صفحاته.

بالعودة إلى رحلات (عثمان) و(جنان) في الحافلات التي استغرقت لشهور نجد حدوث مصادفات غريبة، فقد وقعت حوادث سير نَجَوا منها دائما، وسرقا من الأموات المال لإكمال الرحلة. وفي إحدى تلك الحوادث يلتقيان بفتاة أخبرتهما أن حبيبها الذي مات منذ قليل داخل الحافلة قرأ الكتاب أيضا، ولكنه كان أكثر انبهارا منها، وفيما بعد أكثر تطرفا في رفضه،

فقد وجد أنه ضلل الكثيرين بشروره، بينما الفتاة كانت الأقرب إلى الموضوعية: (المهم هو استيعابك أنت، لما تقرؤه داخل الكتاب، لكني لم أستطع أن أجعله ينصت) ص122. وتتعاطف (جنان) مع تلك الفتاة الغريبة التي انبهرت فيها، فقد وجدت بـ(جنان) الملاك المنقذ، ثم ماتت الفتاة أثر نزف حاد نتيجة حادث السير.

❖ ❖ ❖

بعد سنوات يعود التوازن إلى حياة (عثمان) وكأنه لم يقرأ كتابا غريبا قلب حياته رأسا على عقب، ولم يرتكب جريمة قتل، ولم تهرب منه المرأة التي أحب. فقد تزوج من امرأة جميلة، وأنجب طفلة لطيفة.

ويزور (عثمان) أرملة (رفقي) مؤلف الكتاب، ويشاهد مكتبته ويستعير منها ليتعرف على عوالم هذا المؤلف الذي عاش ومات في الظل، ويكتشف ما لم يتوقعه، أما نحن فنكتشف أنه لم يكن قارئا جيدا، ولم يكن لديه الكثير من الأفكار ليقولها، وكانت ثقافته متواضعة، فاعتمد كثيرا على أفكار المؤلفات التي أخذ عنها، دون الإشارة إلى المصادر. وعلى الرغم من ذلك برز الكتاب بمضمونه الملتبس على الجميع: (بعض المشاهد في (الحياة الجديدة) بعض التعبيرات، وبعض الخيالات كانت مأخوذة إما من أشياء في تلك الكتب أو تم اقتباسها بالكامل، لقد انتفع العم رفقي بهذه الكتب بينما كان يكتب (الحياة الجديدة) بنفس السهولة والروتين الذي كان الوضع عليه عندما اقتبس صورا وكلمات من القصص المصورة) 337. أي أن هذا الكتاب الذي أثار كل هذا اللغط، وأوقع كل تلك الفوضى، وتسبب في عدة جرائم، يفتقد إلى فكر أصيل، ويفتقر إلى إبداع حقيقي، فمؤلفه في كل ما كتبه للصغار والكبار يعتمد ويستند على ما كتبه الآخرون.

يبدو أن الأطفال الذين قرؤوا قصص (رفقي) في طفولتهم وقعوا بسحر كتابه وقد صاروا شبانا، ربما لأنهم وجدوا الأسلوب ذاته الذي كان يجعلهم يصدقون كل ما كان يقص لهم. ولكن هذا التفسير غير مقنع بالتأكيد، فالكبار يستطيعون معرفة الفرق بين الواقع والخيال بيسر، فضلا عن أن الظروف الحياتية تغير من طبيعة الإنسان ورؤيته للحياة!.

ويعيش (عثمان) حياة مطمئنة ويبلغ الخامسة والثلاثين من العمر. وذات يوم يركب في المقعد الأول في حافلة ما، وعندما يرى شاحنتين في الاتجاه المعاكس يدرك فجأة أن حادثا سيقع:

(عرفت أنها ستكون نهاية حياتي.. ولكن أردت فقط أن أعود إلى البيت، لم تكن لدي أي رغبة في الموت على الإطلاق، ولا في العبور إلى (الحياة الجديدة) ص383. فهل كانت الحياة الجديدة تعني الانعتاق والرحيل عن الأرض إلى عالم آخر؟ هذا لا يبدو مؤكدا، ككل الأفكار التي دارت في ذهن قراء الكتاب الذي ظل عصيا على فهم قارئه، وقراء الرواية أيضا!.

وتنتهي هذه الرواية الطويلة التي قد تثير في ذهن القراء أسئلة لا تجيب عليها، بالطبع ليس من مهمة الروائي الإجابة على الأسئلة التي يطرحها في أعماله، ولكن الأسئلة التي نعنيها حول الرواية ذاتها التي لم تكن مقنعة كعمل روائي مميز ل(باموق) الذي حقق تلك الشهرة الأدبية في العالم، فحتى المتعة في القراءة لم تتحقق نتيجة إثقال الرواية بالكثير من التفاصيل- ومنها المكرر- التي لم يُثْرِ السرد، فضلا عن أن السرد ذاته لم يكن معنيا بجماليات السرد، فازداد عالم الرواية بؤسا.

❖ ❖ ❖

قد يخطر لنا كقراء السؤال عن سبب قيام (رفقي) بدور هامشي- إلى جانب بطل الرواية الذي لم يكن أكثر الشخصيات تميزا- في الرواية رغم أنه مؤلف الكتاب المذهل الذي كان محور الرواية؟! بل لماذا هذا المؤلف لم يتمتع بالعبقرية رغم أنه كتابه لم يكن كتابا عاديا؟! بل لعله الكتاب الذي لم يوجد مثيل له في العالم اجمع!.

ربما مجرد طرح مثل هذه التساؤلات يؤكد أن ثمة خللا في بناء الشخصيات وتوزيع أدوارها!!!.

(الكتاب الجيد هو شيء يذكرنا بالعالم بأسره) ص 293.

من الروائيين المغامرين (أورهان باموق) الذي لم يستسلم للسرد الروائي التقليدي، وحاول التجريب ضمن تيارات السرد المنطوية تحت راية الحداثة، لعله يبحث عن أسلوب خاص يُميزه ويُعرف به، ونجح في ذلك نسبيا، فسرده غير المنضبط بصرامة يسعى إلى فوضى سردية قد ترهق القارئ ولكنها قد لا تدعه متلقيا سلبيا، بل تشركه في ملء الفراغات المتروكة عن عمد.

ولكن ل(باموق) طريقته في كتابة الرواية التي تظهر بوضوح في مجموع أعماله، لعل أهمها (الحياة الجديدة) التي اشتغل عليها بجهد خاص- كما يبدو- وفيها يعيد طرح هواجسه وأفكاره بطريقة تختلف إلى حد ما عن رواياته الأخرى، حيث حاول بهذه

الرواية إدخال شيء من الغرائبية دون شطط على عمل يطرح الأسئلة ولا يجيب عليها مباشرة، أو يتركها دون إجابة.

ورغم أن (باموق) من الكتاب المعنيين بالتجديد في الرواية المعاصرة التي كانت نتاجا أوروبيا فإنه لم ينقطع عن عالمه الشرقي الذي ينتمي إليه، ولم ينبهر ويتغرب عن جذوره، ويبدو هذا الانتماء بطريقة جلية في شغفه بمدينته (اسطنبول) التي كتب عنها بحب بكل ما تمثله في التاريخ، وبما تعني له بشكل خاص، وقال فيها (اقتنعت أحيانا بأن اسطنبول التي ولدت وأمضيت حياتي فيها هي قدري الذي لا يمكن أن يناقش)[1] فهو لم ينبهر بالحضارة الغربية بل فهمها بعمق، ولم يتعصب لشرقيته بل انحاز إليها بموضوعية، وعلى الرغم من ذلك ظلت أسئلة الهوية لديه غير منجزة تماما، وقابلة للبحث والمعالجة بطرق مختلفة، وهذا ما يتجلى في هذه الرواية بوضوح.

لقد أراد هذا الروائي الإشكالي الكتابة عن نفسه دون أقنعة، وذلك بعفوية الطبع البسيط البعيد عن تعقيد الصنعة الفنية المترفة.

❖ ❖ ❖

(1) (اسطنبول الذكريات والمدينة) ترجمة: عبد القادر عبد اللي. ص12.

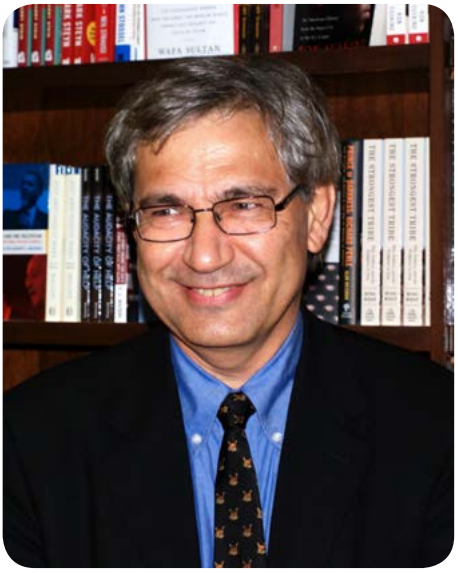

أورهان باموق

لا شك في أن (باموق) أحد أشهر الروائيين عالميا لهذا يبدو انتقاده بقسوة عملا غير مقبول في العرف السائد لأن الشائع أن من يحقق هذه الشهرة العريضة ليس لديه أخطاء كبيرة، وإن كان لديه هنات فهي بسيطة ومن غير اللائق الوقوف عندها طويلا!.

ولكن النقد الموضوعي لا يعترف بالشهرة لأنها متذبذبة ولا تلبث على حال. لهذا يحق لنا السؤال في معرض حديثنا إن كانت أعمال هذا الكاتب التركي ستعيش لأكثر من قرن؟ كما هي أهم أعمال الأدباء الكبار في العالم!؟!؟.

– 2 –

(أرى نفسي كشخص خلق من الضوء المنبعث من الكتاب) ص 34.

بطل رواية (الحياة الجديدة) هو الشاب (عثمان) الطالب في كلية الهندسة، و(أورهان باموق) يحمل إجازة في الهندسة، وهذا التشابه ليس الوحيد بين بطل الرواية وكاتبها، فالبطل هو الراوي/ صاحب الحكاية، وهذا ما قرب المسافة بين الشخصية والمؤلف، وعزز هذا الحضور ضمير المتكلم، وهذه الصيغة في بناء الشخصية الروائية بررت نسبيا لبطل الرواية مخاطبة القارئ بطريقة مباشرة من حين لآخر: (لو لاحظت أيها القارئ، فأنا يقظ الضمير كفاية لكي لا أدعي أن هذا حدث نتيجة الكتاب) ص321.

هذه اللعبة السردية استخدمها (باموق) أيضا في روايته (اسمي أحمر) التي تتعدد فيها الشخصيات التي تفصح عن نفسها بالطريقة ذاتها، رغم أنه ليس فيها بطولة منفردة، فالرواية كاملة يرويها من يقوم بدور هامشي إلى جانب بعض الشخصيات المؤثرة، وحمل هذا الراوي الاسم الأول للروائي (أورهان) وقد كان له فضل جمع الأحداث وروايتها بطريقته.

أما في (الحياة الجديدة) فالراوي كان من جملة الشخصيات التي تقوم بأفعال مؤثرة في سياق الحدث.

وتتحرك الشخصيات في الروايتين في (اسطنبول) مدينة (باموق) التي اتخذها مكانا لأغلب رواياته. ولكن الأزمنة اختلفت في الروايتين، فـ(اسمي أحمر) تعود إلى القرن السادس عشر، أما (الحياة الجديدة) فإلي القرن الماضي الذي تفصلنا عنه سنوات قليلة، وليس مئات السنين كما في الرواية الأخرى. لهذا كانت ثمة حكايات كثيرة في رواية (اسمي أحمر) التي أخذت قالب الحكاية. أما في رواية (الحياة الجديدة) فالراوي بضمير المتكلم ينقل إلينا مجريات الأحداث، ولا يروي لنا أي حكاية.

(لقد تغيرت حياتي كلها بعد قراءة هذا الكتاب) ص 43.

الموضوع متشابه في كلتا الروايتين، ففي (اسمي أحمر) ثمة صراع وجود بين فنون النقش الإسلامية والرسم الذي لا تحرمه الكنائس المسيحية. وفي (الحياة الجديدة) صراع خفي بين الثقافة التقليدية الشرقية وموجة الحداثة العلمانية القادمة من الغرب. وهذه الصراعات بكل أشكالها تمهد لمرحلة انتقالية، أو لمرحلة تحول. ولعله تعبير عن

مخاض أو بحث لهوية غير محددة الملامح في المدينة العريقة (اسطنبول) التي تفصل بين قارتين لم تكونا على وفاق في حقب تاريخية عديدة، وهذا ما خلق قلقا بين شخصيات الروايتين، وحيرة أمام العالم الذي يتغير بقسوة من حول الشخصيات التي مازالت في مرحلة البحث عن الانتماء. وقد تناول (باموق) هذا الموضوع بعجالة في هذه الرواية، أو لم يفسح المجال لمعالجته بالقدر الكافي لطغيان الاهتمام بتفاصيل أخرى في الرواية، فاكتفى بإشارات غامضة ملتبسة. وذلك بخلاف روايته (اسمي أحمر) التي عالج فيها الموضوع نفسه بطريقة مبتكرة من جوانب عدة، بأبعادها الفكرية والاجتماعية والتاريخية، وكثيرا ما خرج عن بؤرة الحدث المركزية وأدخل قصصا إضافية أسهمت في إثراء الموضوع وإغنائه. بينما في (الحياة الجديدة) بقي الموضوع دون ملامح يمكن اكتشافها بيسر، حتى يصل الشك إلى القارئ الباحث عن المعنى في الرواية إلاّ أن الكاتب لم يرغب في حسم الأمر، وترك القارئ في لجة الأفكار ليبحث بنفسه وبحسب تجربته الخاصة عن ذاته؟!.

ويظهر هذا الصراع في (الحياة الجديدة) بأكثر من وجه - منها حبات الكراميل وقصص الأطفال - وجميعها لم تحط بالموضوع من جوانبه كلها، أو تقدمه بطريقة غير ملتبسة. أما في (اسمي أحمر) فالموضوع يبرز أكثر وضوحا ونضجا في وجه واحد، وهذا انعكس على بناء الشخصيات التي كانت أكثر إقناعا، والأسلوب الذي كان متألقا. بخلاف الرواية الأخرى.

(كانت هذه هي الحياة.. الحياة التي صادفها في الكتاب) ص 95.

لاشك في أن موضوع الروايتين غير تقليدي، وله جاذبيته الخاصة على القراء وعشاق الكتب، بغض النظر عن السوية الفكرية والأدبية والفنية في كل رواية على حدة.

في كل رواية يوجد كتاب ليس كغيره من الكتب، ونتيجة لذلك تتمحور أحداث كل رواية حول كتابها، ويأخذ الكتاب أهميته من نظرة الشخصيات للكتاب وأفكارهم حوله، وان لم يكن الكتاب يستحق هذه الأهمية بحد ذاته.

الكتاب في (اسمي أحمر) نعرف عنه كل شيء كقراء، ولكنه بالنسبة للشخصيات محاط بالسرية لأن الكتاب يُشتغل عليه بطلب من السلطان بعيدا عن العامة، وكان كتابا مختلفا بذاته لأنه

يمثل محاولة للخروج من تقاليد النقوش القديمة وإتباع أصول الرسم الجديد الوافد. وهو مشغول باليد ولا يوجد منه غير نسخة واحدة، وهذا سبب إضافي ليكون الكتاب فريدا بذاته، والمعنيون به الدائرة الصغيرة من النقاشين المختصين بالنقش وأصوله. وهو بهذه المواصفات خلاف الكتاب في (الحياة الجديدة) الذي اشتغله مؤلف واحد بدافع ذاتي وهو العم (رفقي) الرجل البسيط المفتش في السكة الحديدية، وصاحب الشخصية الوادعة، وكتبه ليسلي نفسه والقراء.

ثم يُقتل الكاتب المغمور (رفقي) بالرصاص، ولم يعثر على قاتله ككل المقتولين غدرا في الرواية!. وثمة جرائم تقع في (اسمي أحمر) ويكتشف أمر القاتل الذي يعاقبه أصدقاؤه بطريقتهم الشنيعة.

❖ ❖ ❖

منذ القراءة الأولى للروايتين يظهر بجلاء تفوق (اسمي أحمر) من جانب الصنعة الروائية، فالحبكة متقنة بمهارة، والأحداث متعاقبة بسببية منطقية، وتتناسب ظروف الشخصيات مع أقوالها وأفعالها، أما في (الحياة الجديدة) فقد غابت شروط الصنعة الصارمة، وتشتت أحداثها وتبعثرت، واضطربت شخصياتها من ناحية التباس أفعالها مع ظروفها الموضوعية، إضافة إلى تكرار تفاصيل لا موجب له، فقد ظلت الكثير من الأشياء غير واضحة، إضافة إلى حشو سردي لا طائل منه، فلم تثر الرواية كثرة التفاصيل، بل زادت من إبهامها. وهذا التشظي السردي قد يضيع القارئ، أو يدفع الملل إلى نفسه، رغم محاولة (باموق) ربط جميع تلك المكونات بخيط وهمي مع التقدم في السرد، ورغم هذه المحاولة غاب عامل المتعة الذي يميز الأدب عن سواه من أساليب الكتابة. أما لدى الانتهاء من (اسمي أحمر) فيجد القارئ رغبة في إعادة قراءتها مرة أخرى لمضاعفة المتعة، فهي رواية مشوقة للقراء ومثيرة للاهتمام.

❖ ❖ ❖

في (الحياة الجديدة) سنفترض أن البشر عادة لا يميلون إلى الأشياء الجديدة ويتوجسون منها، لهذا لم يرحب في الكتاب غير فئة الشباب، ورغم ذلك نجد هذا التفسير غير كاف لتبرير كل هذه الموجة التي أثارها الكتاب من حوله طوال صفحات الرواية.

أما (اسمي أحمر) فتطرقت أيضا إلى موضوع دخول الأشياء الجديدة إلى النمط الحياتي اليومي فأحدثت صدمة

غير متوقعة، ولكن ضمن سياق حدث مبرر، وبالتالي كان وقوع جرائم القتل متوقعا. خلاف (الحياة الجديدة) التي بقيت تعاني من الإبهام المغلق، وليس الغموض المفتوح على التأويل الممكن.

❖ ❖ ❖

بيد أن الأسلوب في (الحياة الجديدة) لاقى إعجابا من الدارسين المتحمسين لـ(باموق) ورغم ذلك وصفوا الرواية بأنها بالغة التعقيد، أو صعبة الفهم، وهذا برأيهم ما يمثل أحد تيارات الحداثة أو ما بعد الحداثة- لا أميل إلى هذه التصنيفات- ولعل (باموق) وجد مثل هذه التيارات العارضة مناسبة لرؤيته الأدبية، أو لعله تعمد الانتماء لهذا التيار الذي روج أعماله، أو لأنه استسهل هذا النمط في الكتابة، أو رغب في التمرد على المنجز السردي الكلاسيكي. ويعزز هذا الاستنتاج قول (باموق) في معرض حديثه عن هذه الرواية: (مع أفول رواية القرن التاسع عشر، فقد العالم وحدته ومعناه. وعندما نشرع في كتابة الرواية اليوم، كل ما لدينا من قصاصات وشذرات. ويمكن لهذا أن يكون مصدرا للتفاؤل: بتخليص أنفسنا من التراتبيات، يمكن أن نتقبل العالم كله وكل الثقافة والحياة. ولكنه يمكن أيضا أن يكون سببا للخوف والاضطراب والفوضى، مما يجعلنا نقلل من السرد، ندفع مراكز قصصنا من المركز إلى الهوامش)[1].

وربما تعمد (باموق) حشد الرواية بالكثير من الشخصيات والأحداث التي تتفاعل فيما بينها لتشكل دلالات قابلة للتأويل وللتفسير لصالح المؤلف الذي حقق شهرة عالمية، فلا يجرؤ أي ناقد على اتهام الرواية بفنيتها، بل سيحاول جهده التأويل لصالح الرواية وإن ألصق بها تفسيرات لا وجود لها في الرواية!!!.

بينما (اسمي أحمر) لم تقع في الإبهام رغم موضوعها المركب، وأتت صعوبتها من الجرعة الفكرية التي لا يشعر القراء بوطأتها لأن الحبكة المتقنة مشغولة بمهارة، إضافة إلى السرد المكثف المصاغ بحرفية عالية.

(هل يستطيع كتاب تغيير حياة شخص) ص 189.

رواية (الحياة الجديدة) لم تكن رواية شائقة بوليسية على نمط الروائية البارعة (أجاثا كريستي) ولم تكن رواية نفسية معقدة بحسب أسلوب (فيدور دوستوفسكي) أما الأشياء العجيبة فلم تكن معالجة بطريقة مبتكرة كما لدى

(1) (ألوان أخرى) المؤلف نفسه- ص309.

(غابرييل غارثيا ماركيز) ونأت بنفسها عن سريالية (خورخي بورخس) ربما هي محاولة للجمع بين تلك الأساليب ثم الخروج بأسلوب خاص أكثر متعة وإدهاشا. ولكن هذا لم يتيسر ل(باموق) الذي قدم رواية غير مقنعة بما يكفي لكاتب يمتلك كل هذه الشهرة. وتلك الإخفاقات في هذه الرواية تجاوزها (باموق) بمهارة في (اسمي أحمر) التي كانت رواية مميزة ضمن أعمال المؤلف، وتشير إلى وجود روائي متمكن من صنعته، وهذا يؤكد أن من يمتلك مثل هذا الأسلوب البارع لديه القدرة على كتابة روايات جميلة إذا اشتغل بجد على مشروعه الأدبي ولم يكتف بالاستناد إلى الشهرة التي وفرها لها الحظ! أما تفاوت المستوى الأدبي لدى أي روائي فنجده حتى لدى كبار كتاب الرواية في العالم، فأعمالهم الروائية لا تسير بخط تصاعدي دائما، وهذا من الطبيعة البشرية على كل حال.

ولست الوحيد الذي يجد أن رواية (اسمي أحمر) الأكثر تميزا بين أعمال المؤلف، فهذه الرواية هي التي نالت معظم الجوائز التي حظي بها (باموق).

❖ ❖ ❖

بقي أن نقول عن تجربة (أورهان باموق) إن روايته الخامسة (الحياة الجديدة) صدرت عام 1995 أما روايته السادسة (اسمي أحمر) فصدرت عام 1998 ورغم هذه المدة القصيرة- ثلاث سنوات- كان لها تأثير واضح في تطور التجربة الروائية لهذا الأديب الذي ظلت أعماله محور جدل النقاد والدارسين.

ثمة سؤال يطرح نفسه في نهاية هذه الدراسة: لو تناولنا أعمالا جديدة للكاتب وقارناها مع هاتين الروايتين فكيف ستكون النتيجة يا ترى؟!؟!.

المراجع:

- اسمي أحمر- رواية- ترجمة عبد القادر عبد اللي-دار المدى- دمشق ط2/2004.
- ألوان أخرى- مقالات- ترجمة: سحر توفيق- دار الشروق القاهرة ط1/2009.
- (اسطنبول الذكريات والمدينة) سيرة ذاتية- ترجمة: عبد القادر عبد اللي- وزارة الثقافة- سلسلة آفاق ثقافية- -37 دمشق 2006.
- الحياة الجديدة- رواية- ترجمة: سها سامح حسن- مراجعة: د. أماني توما- تقديم: عبد المقصود عبد الكريم- دار الانتشار العربي بيروت- الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة- ط1/2010.

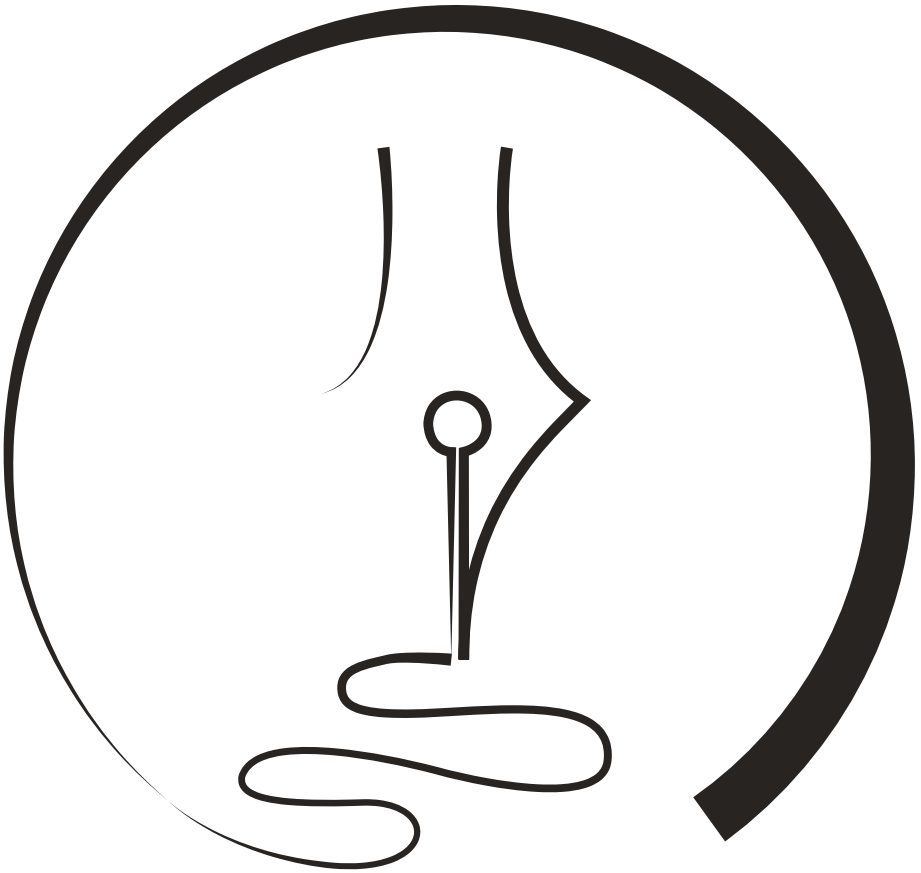

مقالات

المكتبات التجارية القديمة في الكويت

مشاهدات وذكريات

٤/٣

المكتبة هي منبع المعرفة، ومخزونها الذي لا ينضب وهي الأرشيف الذي يمد الكاتب والباحث والعالم والمتعلم بكل ما أنتجته عقول البشرية على امتداد عصورها ومازالت تُغذّى بنتاج كل الأجيال اللاحقة، فالكتب تضيف أعمارًا إلى أعمارنا، فهي الكون كله والحياة بما خفي منها وظهر بحسب قول الأديب الكبير عباس محمود العقاد، الذي نهل من ينبوعها كل فكره وثقافته وإنتاجه دون أن يعتمد على شهادة دراسية يعلقها على الحائط ويكتفي بمشاهدتها والتفاخر بمحتواها.

بقلم: خالد سالم الأنصاري*

والكويت منذ نشأتها عرفت أهمية الكتاب وساهم بعض رجالها من ذوي الفكر النير في توفير سبل المعرفة مبكرًا وساهموا في جلب الكتاب من بلدان بعيدة كالهند ومصر وبغداد، والبعض منهم ساهم بطبع ونشر الكتب التي تحتوي مادتها على ما يناسب ميولهم واحتياجاتهم كالمصنفات الملاحية وكتب أوزان اللؤلؤ وكتب الفقه المالكي، ودواوين بعض الشعراء الكبار منذ نهاية القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى نسخ عدد من المخطوطات في هذا المجال وغيره منذ عام 1682م.

ولعل مخطوطة الموطأ للإمام مالك خير دليل على ذلك، ومازالت الدولة تسير على هذا المنوال وتوليه الاهتمام الكبير من خلال إنشاء المكتبة الوطنية ومراكز الثقافة والدراسات والبحوث والعلوم المختلفة.

* باحث كويتي.

❑ مكتبة الخليج ❑

أسسها كل من الأديب: عبدالله زكريا الأنصاري والشاعرالأديب أحمد السقاف في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي وأشرف على إدارتها السيد يوسف المشاري، وكان موقعها في شارع الأمير بالقرب من المدرسة المباركية.

وقد أسست هذه المكتبة كما جاء في إعلان افتتاحها المنشور في العدد الرابع من مجلة كاظمة الصادر في تشرين الأول من عام ١٩٤٨م: «لتؤدي رسالة الثقافة والتنوير قبل أن تسعى نحو الربح». ويمضي الإعلان في التعريف عن محتوياتها بالقول: «فازدانت جوانبها بكل نفيس وثمين. فالكتب العلمية والأدبية والإجتماعية والإقتصادية، ودواوين الشعر وكتب القصص كلها من محتويات هذه المكتبة، مع كل ما يحتاجه الطالب والتاجر».

وكانت هذه المكتبة متعهدة بيع وتوزيع مجلة كاظمة التي أصدرها الأستاذ أحمد السقاف في تموز عام ١٩٤٨م. وهي أول مجلة كويتية تطبع في الكويت.

وقد حدثني أستاذنا الجليل -المرحوم بإذن الله - أحمد السقاف في أحد لقاءاتي معه في رابطة الأدباء: بأن هذه المكتبة هي أول من قام بطبع وتوزيع التقويم الفلكي الكويتي للأستاذ صالح العجيري وطبعته في بغداد ١٩٤٥م.

استمرت هذه المكتبة في أداء رسالتها الثقافية حتى عام ١٩٥٢م حيث أغلقت أبوابها.

عبدالله زكريا الأنصاري
١٩٢٢-٢٠٠٦م

❑ مكتبة التلميذ ❑

من المكتبات القديمة في الكويت، افتتحت في بداية الأربعينيات من القرن الماضي. وصاحبها هو السيد حمود عبدالعزيز المقهوي. وكان مقرها في شارع الأمير - مركز تجمع المكتبات.

ساهمت هذه المكتبة مساهمة كبيرة في توفير مختلف أنواع الكتب والمطبوعات الأخرى كالصحف والمجلات والخرائط والقرطاسية وغيرها. كما تخصصت في جلب الكتب الحديثة كالروايات والقصص ودواوين الشعراء وبخاصة المعاصرين منهم، وتولت توزيع مجلة البعثة التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة مع عدد من المجلات والصحف المصرية التي كانت تصل الكويت بالطائرة منذ مطلع عام ١٩٤٨م.

ووفرت الخرائط الملونة الكبيرة مثل خارطة للجزيرة العربية مقاس ٥٠/٤٥ إنش، وأعلنت عنها في مجلة البعثة عام ١٩٥٠م.

كذلك أعلنت في نفس العام عن أول خارطة ملونة للكويت قياس ٧٠/١٠٠ سم.

ديوان الشاعر علي محمود طه:

وأخبرني أستاذنا الفاضل أحمد السقاف قال: في نهاية الأربعينيات جلبت هذه المكتبة مجموعة من الكتب الحديثة من مصر، وكان بينها الطبعة الأولى من ديوان الشاعر المصري المعروف: علي محمود طه، واسم الديوان «الملاح التائه» وكان يحمل غلافاً ملوناً جاذباً، ولأول مرة يصل إلى الكويت مطبوع يحمل غلافاً زاهي الألوان بالإضافة إلى ما يحوي من

أحمد السقاف

شعر رقيق عذب.

فلاقى إقبالاً كبيراً ونفدت جميع نسخه بسرعة، خاصة وقد سبقته بعض قصائده التي لحنها وغناها الموسيقار محمود عبدالوهاب مثل: الجندول، ليالي كليوبترا، وقصيدته التي ذاع صيتها في العالم العربي «فلسطيني» التي مطلعها:

أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا

❑ مكتبة ابن سيار ❑

من المكتبات التي كنت أتردد عليها منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي مكتبة ابن سيار، واسم صاحبها الملا محمد بن سيار، كان يعمل في المدرسة

المباركية منذ افتتاحها، ويقوم بأعمال عديدة، فهو مراسل وملاحظ للتلاميذ، وموزع للرواتب وحارس، كان يقوم بكل هذه الأعمال دون كلل أو ملل.

وبعد أن كبر في السن وترك العمل افتتح له مكتبة في مدخل سوق الحراج القديم المتفرع من «الشارع الجديد» شارع عبدالله السالم حالياً، وقد شاهدت مكتبته وكتبه والتي جميعها مكدسة على الأرض فوق بعضها بعضاً وبها شبه حاجز يقف صاحبها ابن سيار خلفه ولا يستطيع مشتري الكتاب أن يدخل إليها لضيق المدخل والمكان.

وعلى الرغم من هذا كانت هذه المكتبة الصغيرة والضيقة تحتوي على كتب ومجلات قديمة كثيرة، وينطبق عليها قول: «قد يوجد في الأسقاط مالا يوجد في الأسفاط[1]»

وقد اقتنيت بعض الكتب من هذه المكتبة منها:

- مقدمة ابن خلدون - طبعة مكتبة عبدالرحمن محمد بمصر، وهذه الطبعة من أولى الطبعات العربية لهذه المقدمة، وعليها ختم المكتبة الثقافية بمقديشو بالصومال.

ومقدمة ابن خلدون تحتوي على علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية، وكان لها وقع كبير لدى الأجانب، فنقلت مبكراً إلى عدة لغات منها الفرنسية عام ١٨٥٨م.

كما ترجمت إلى الإنجليزية والألمانية والتركية.

ومن الكتب التي اقتنيتها من هذه المكتبة أيضاً كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني المتوفى عام ٤٥٦هـ وهي الطبعة الأولى من هذا الكتاب القيم والذي طبع في القاهرة عام ١٩٠٧م بمطبعة السعادة.

والكتاب يبحث في فضل الشعر وأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء، ومن رفعه الشعر ووضعه، والتكسب في الشعر واحتماء القبائل بشعرائها، وأوزان الشعر وبحوره.

وقد قال عنه ابن خلدون: إن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله. كما اقتنيت منها أيضاً كتاب: حلبة الكميت للنواجي، وهو يتحدث عن الأشعار والطرائف والحكايات التي تتعلق بالخمرة. وهو من الكتب النادرة.

(1) - الأَسْفَاط جمع سَفْط وهو ما يخبأ به الطيب والجواهر الثمينة.

الفنون الإسلامية في كيرالا الهندية

بقلم: نشاد علي الوافي *

كيرالا، إحدى الولايات الهندية في جنوب الهند المطلة على بحر العرب تتميز بأسلوب حياة عالية الجودة وعادات فريدة وطقوس معتدلة ومهرجانات جميلة واحتفالات شائقة. يعيش فيها المسلمون والهندوس والنصارى واليهود وآلاف من الناس من مختلف الأديان الأخرى والذين يتبعون شتى الثقافات وأساليب الحياة المتنوعة.

وصل إليها الإسلام كما تثبته الوثائق التاريخية والكتب الدينية المعتمدة والأشعار الجاهلية في أوائل القرن الأول الهجري. يروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حديثا يلقي الضوء على هذه الحقيقة حيث قال: «أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة فأطعمني منها قطعة». يقول المؤرخون أنّ هذا الملك المذكور في الحديث الشريف هو تشيرامان فيرومال، ملك منطقة مسرس (Kodungallur) الواقعة اليوم في مقاطعة ترشور. وقد حكى العلامة زين الدين المخدوم في كتابه الشهير «تحفة المجاهدين» والذي يتناول أوائل

* باحث في جامعة جواهرلال نهرو/ نيودلهي، الهند

تاريخ كيرالا قصة تشيرامان فيرومال ودخوله في الإسلام. يقول أنّه رأى فيرومال حادثة انشقاق القمر رأي العين واستفسر من الكهنة وعلماء الدين الهندوسي عن تفسيره وبيانه فلم يجيبوا له بجواب مقنع. فلما رست سفينة وفد العرب في ميناء مسرس تحدّث معهم عن الحادثة فأخبروه بأنه معجزة رسول جاء في مكة المكرمة فرغب في لقائه على الوجه. وسافر معهم إلى مكة المكرمة فأهدى الهدايا المذكورة في الحديث الشريف. أمّا اسم كيرالا فيعود تاريخ تسميتها إلى العرب الذين نزلوا بها وأعجبتهم المناظر وما تتمتع به من الخيرات فسمّوه «خير اللّه» ليصبع فيما بعد التحريف كيرالا.

وصل إليها الإسلام كما تثبته الوثائق التاريخية والكتب الدينية المعتمدة والأشعار الجاهلية في أوائل القرن الأول الهجري.

تاريخ العلاقة الثنائية بين العرب والهند

ولعلّنا نعجز عن تحقيق تحديد بداية علاقة العرب بكيرالا، والذي نستطيع القول أنهم شاهدوا شواطئ السند قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد لقدوم العرب إلى سواحلها ليتاجروا بالبضائع ويصدّروا السلع والمنتجات الصناعية والمحصولات الزراعية.

يقول المؤرخون أنه كان هناك ميناء كبير يعتني بتجار العرب في سواحل موهنجدارو (Mohanjedaro). ويشهد التاريخ القديم أن الآشوريين والبابليين كانوا يجلبون الفلفل والقرنفل من كيرالا ثم يبيعونها في بلادهم. يقول المؤرخ المشهور هيرُودُوتاس (484 ق.م - 412 ق.م) «إنّ العرب كانوا يبتاعون منتجات كيرالا ومحصولاتها الزراعية ويحملونها على سفنهم ومراكبهم إلى عدن حيث الفينيقيّون والمصريّون يبتاعونها من العرب وهؤلاء يبيعونها لسكان سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر».

ونرى في الأشعار الجاهليّة مثل امرىء القيس وعنترة العبسي آثارا تدلّ على علاقة العرب بكيرالا في العصر الجاهليّ أو قبله يقول امرؤ القيس بوصف البعر:

ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنّه حبّ فلفل

وفي الوقت نفسه يصف عنترة العبسي سواد شعر أمّه بالفلفل وهو يقول:

وأنـا ابـن سـوداء الجبين كأنّها
ذئـب تـرعـرع فـي نـواحـي المـنـزل
الـسـاق منـهـا مـثـل سـاق نـعـامـة
والـشـعـر منـهـا مـثـل حـبّ الـفـلـفـل

أثر احتكاك الثقافة العربية بالثقافة الكيرالية: (الفنّ الإسلاميّ الهنديّ)

بسبب دخـول الكيراليّين الإسـلام وبسبب احتكاك الحضارتين العظيمتين، حضارة الإسلام وحضارة الهند، تولّدت ثقافة باهرة وحضارة زاهـرة ثالثة حتى ينتهي الأمر إلى تكوين لغة جديدة وهي «اللغة العربية الموليالميّة». وكذلك تجدّد في كيرالا أنـواع من فنون ممزوجة مثل رقصة أوفانا (Oppana) وضرب الدفوف (Daf Muttu) وضرب أرابانا (Arabana Muttu) واللعب بالعصا (Kolkali) وغناء مابيلا (Mappila Song).

اللغة العربية الموليالميّة:

بـعـد أن بـدأت الـعـلاقـة الـوطـيـدة المتواصلة بين العرب وكيرالا أخذ يلوح في المناط الاجتماعي الكيرالي والثقافي تغيرات على مرّ الأيام. ومن أهمّها ولادة لغة جديدة تُكتب بالحروف العربية من اليمين إلـى الشمال اعتماداً على اللغة الموليالميّة في النحو والصرف والقوانين. ومـن أجـل مواجهة تحدي قلّة الحروف العربية التي تماثل الحروف الموليالمية

البالغ عددها 52 حرفاً هجائياً استعارت اللغة العربية الملياليمية بعض الحروف من اللغة الفارسيّة مثل ز (zha) ج (cha) ب (pa) كَ (ga). أما المفردات والألفاظ كانت من اللغة الملياليميّة واللغة التاملية (Tamil) والأردويّة والسانسيكرتيّة والفارسيّة. أصبحت هذه اللغة الرائعة خلال أيّام قلائل لغة رئيسية بين المسلمين في كيرالا حتى أصبحت تُؤلف فيها دراسات إسلاميّة لتُدرس في المدارس الابتدائية والثانوية. فكان الناس يدرسون أحكام الصلاة والصيام والزكاة.... في هذه اللغة بل أصبحت تُكتب فيها العلوم والمعارف والأشعار وأنواع من الآداب وتنشر فيها المجلات والمقالات والكتب.

بسبب دخول الكيراليّين الإسلام وبسبب احتكاك الحضارتين العظيمتين، حضارة الإسلام وحضارة الهند، تولّدت ثقافة باهرة وحضارة زاهرة ثالثة.

أغاني مابلا(Mapilappattu)

ومن بين أنواع الفنون والآداب تحتلّ الأغاني على الإطلاق مكانا رفيعا من حيث أنّه أشدّ وقعاً في النفس الإنسانية وأكثر تهييجا لوجدان الإنسان وعاطفته. وممّا ظهر جراء الاحتكاك الثقافي بين العرب وكيرالا أغاني مابلا التي تُستعمل فيها الألفاظ العربية والأردوية والسانسكرتية والتاملية والكانادية مع أنّها تتطرق إلى مواضيع إسلاميّة في معظم الأوقات. ويتناول هذا الغناء أنواعاً متعددة من مديح وهجاء وبطولة وملحميّة. ويُعدّ «مُحي الدين مَالاَ» (مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني في شكل الغناء) الذي ألّفه القاضي محمّد الشهير عام 1608م أوّل غناء من هذا النوع.

كول كالي (اللعب بالعصا)

يرجع تاريخ هذه الرقصة إلى 200 عام حيث بدأها الهندوكية وعُرف بينهم باسم «كامبو كالي». وكانت تُقام هذه الرقصة في شهر أبريل وقت حصاد الزرع. يحمل فيها الراقصون العصا ويضربونها ويشكّلون الدوائر تبعا لموسيقا. أما الدوائر تنقص وتتوسع عندما تبلغ الموسيقا أوجها. تُستعمل فيها الأدوات مثل مادالام (Mathalam) وإيلاتالام (Elathalam) وجيندا (Chenda). وقد شاعت هذه بين المسلمين بعد أن وقعت التعديلات إذ يردّدون أغاني إسلاميّة

يملأ القلب إيمانا واعتقادا ويتذاكرون فيه الحوادث التاريخيّة والحروب التي وقعت في عهد الرسول والصحابة.

أوفانا (Oppana)

فهذه رقصة تقوم بها النساء ليلة الزفاف أو الليلة السابقة لها لتجهيز العريس والعروس نفسيّاً لليلة العسل. وقد قيل أنّ هذا الفنّ اشتُقّ من لفظ «أبّن» أو من «حفنة اليد» لما تستعمل فيها اليد أكثر من أي عضوّ آخر. ويتم تشكيل فرقة أوفان من ستة أعضاء دائما ويلبسن زيّا شعبيّا من إزار وسربال قصير أبيض ويعلّقن الحزام الفضيّ كانت تستعمله الشيخات في ماليبار و ويرتدين الجواهر المذهّبَة فيما العروس تجلس على كرسيها الخاصّ وتتزيّن بالجواهر وتلبس ساري (Sari) الغالي المتخصّص للزواج. تَضرب فيها الراقصات أيديهن بتناسق وفق أغاني المابلا الغزلي.

داف موت (Daff Muttu):

وهو أعظم أثر إسلاميّ باق بين المسلمين في كيرالا داف موت الذي يعود تاريخه إلى قدوم النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوّرة وضرب أهلها الدفوف تحية به مطربين البيت

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وقد صار داف موت جزءاً لا يتجزأ في الحياة الاجتماعية المسلمة إذ أنّه يقام في حفلات المهرجانات والزواج واحتفال المولد النبوي واستقبال الضيوف البارزين خاصة من العرب والدول الأجنبيّة وأصبح هذا أروع نوعاً في المسابقات الدراسية العامّة من المدارس إلى الجامعات. يقرع فيه اللاعبون الدفوف المحمولة في اليد مغني البيوت والأغنية لاسيما بما يتعلق بالأبطال والشهداء المسلمين والأولياء والمتصوفين ويشاركه اثنا عشر شخصا في معظم الأوقات. فيشكّلون فيه الدائرة ويخرجون منها ويرجعون إليها ويتحرّكون إلى شتى المواضع ضاربين الدفوف بخمس ضربات يعرف (Anjumuttu) وثلاث ضربات (Moonumuttu) وضربة (Orumuttu) وفق الغناء مع أنّ جميع الحركات والضربات تقرّ عيون المشاهدين وتملأ قلوبهم فرحا ومرحا.

دار الكتب المصرية..التحديات ورؤية جديدة

تواجه المكتبات الوطنية العالمية اليوم تحديا كبيرا على مسارات مختلفة أهمها تطوير أوعية الاطلاع، بشكل متسارع، إضافة إلى تحديات الحفاظ على التراث الوطني وجمعه وإتاحته للجمهور بشكل ملائم يتناسب مع أهميته ومع احتياجات المترددين على المكتبة، وقد برزت خلال القرون الماضية تجربة فريدة في هذا المجال.

سأحاول أن أتناول هنا تاريخ المكتبة الوطنية المصرية وأهم إداراتها والجهود المصرية المبذولة لتطوير العمل داخلها، بشكل يتناسب مع أهمية الدور التي تلعبه للحفاظ على التراث المصري الأصيل.

بقلم: د. أحمد الشوكي*

أولاً: النشأة

تعد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية من أوائل المكتبات الوطنية في العالم العربي؛ ففي عام 1870م وبناءً على اقتراح علي باشا مبارك ناظر ديوان المعارف- وقتئذ- أصدر الخديوي إسماعيل الأمر العالي بتأسيس دار للكتب بالقاهرة «الكتبخانة الخديوية المصرية»؛ لتقوم بجمع المخطوطات والكتب النفيسة التي كان قد أوقفها السلاطين والأمراء والعلماء على المساجد والأضرحة والمدارس ليكون ذلك نواة لمكتبة عامة على نمط دور الكتب الوطنية في أوروبا، وكان مقرها بمنطقة درب الجماميز بالقاهرة في قصر مصطفى فاضل باشا.

وفي عام 1899م وضع الخديوي عباس حلمي الثاني حجر الأساس

* باحث مصري - عضو المجمع العلمي المصري-رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية السابق.

لمبنى الكتبخانة ودار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي حاليًا)، بمنطقة باب الخلق حيث نهاية السور الجنوبي للقاهرة الفاطمية القديمة، فأقيم المبنى على الطراز المملوكي ليحاكي - بما يضمه من مقتنيات تراثية - ما كانت عليه القاهرة القديمة من أصالة وعراقة،وفي عام 1904م انتقلت الدار إلى هذا المبنى والذي مازال يعمل حتى الآن.

وفي عام 1971م انتقلت المكتبة إلى المبنى الحالي بكورنيش النيل برملة بولاق، والذي صمم ليكون صالحًا لأداء الخدمات المكتبية الحديثة وليتمكن بمساحاته الضخمة من توفير مخازن مناسبة لحفظ المقتنيات من المخطوطات والبرديات والمطبوعات والدوريات والميكروفيلم، بالإضافة إلى قاعات تستوعب العدد الضخم من

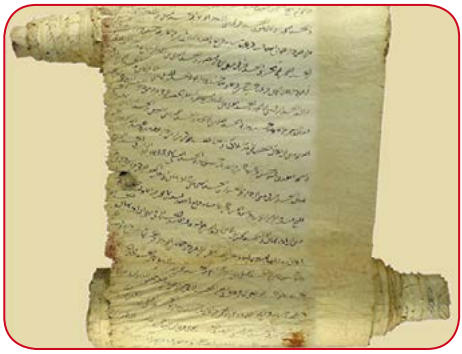

إحدى مقتنيات دار الكتب من المراسيم الملكية والسلطانية

الخديوي إسماعيل

المترددين على الدار، وتخصيص أماكن للمراكز المتخصصة والمكاتب الإدارية ليؤدى وظيفته كمكتبة وطنية تقدم خدماتها للباحثين والقراء في شتى المجالات.

وتم وضع أهداف المكتبة الوطنية كالتالي:

- نشر الوعي الثقافي بين أفراد المجتمع.
- تيسير الاطلاع على الإنتاج الفكري والأدبي والعلمي للحضارة الإنسانية.
- تقديم الخدمة المكتبية لجمهور الباحثين والمطالعين، وإتاحة مقتنيات الدار للاطلاع عليها والاستفادة منها سواء بمقر الدار أو

من خلال المكتبات الفرعية التابعة لها . .

- العمل على إحياء التراث العربي.
- جمع وحفظ وصيانة مقتنيات الدار التراثية من الكتب وأوائل المطبوعات والدوريات والمخطوطات وتنظيمها والتعريف بها والإعلام عنها.
- توثيق الصلات العلمية والثقافية مع مختلف المكتبات والمؤسسات في الداخل، وكذلك دور الكتب العالمية والهيئات العلمية والثقافية بالخارج، وبخاصة في الأقطار العربية، وذلك عن طريق تبادل المطبوعات والمعلومات الفنية، مما يعمل على التعريف بالدار ومطبوعاتها ومقتنياتها.

ولتنفيذ هذه الأهداف تم وضع العديد من الإدارات لتنفيذها منها:

1 - الإدارة العامة للبرديات والمخطوطات والمسكوكات

وتتكون من ثلاث إدارات، هي:

أ- إدارة البرديات

يوجد عدد كبير من البرديات بدار الكتب المصرية تتجاوز الأربع آلاف بردية، تشتمل على عقود زواج وعقود

> **تعد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية من أوائل المكتبات الوطنية في العالم العربي.**

بيع وشراء وعقود إيجار وكشوف عمال وسجلات خاصة بدفع الضرائب والغرامات وغيرها من المعاملات الرسمية والشخصية، ويجري حالياً ترميم هذه البرديات ورقمنتها لإتاحتها بشكل لائق للباحثين.

ب- إدارة المخطوطات

تحتوي على المخطوطات واللوحات الفنية، وهي معدة بنظام الأرفف المغلقة وبها فهارس تساعد الباحثين على الوصول إلى رقم المخطوط وموضوعه، وهي محملة على ميكروفيلم لخدمة الباحثين وإرشادهم. وحالياً يوجد

النص التأسيسي لوضع أساس دار الآثار العربية والكتبخانة الخديوية بباب الخلق

مشروع طموح لرقمنة هذه المخطوطات بتصوير عالي الجودة بالتعاون مع جمعية المكنز الإسلامي.

ج- إدارة المسكوكات

تقتني دار الكتب مجموعة من العملات والمسكوكات ذات القيمة الأثرية المهمة يبلغ عددها أكثر من 12 ألف قطعة، ومعظمها عملات ذهبية وفضية من فئة: الدينار ونصف الدينار و الدرهم، وبها أيضًا عدد من العملات النحاسية والبرونزية والورقية التي صكت في عصور مختلفة ؛بداية من العصر الأموي حتى عصر محمد علي باشا، هذا إلى جانب الأنواط والنياشين المختلفة.

"في عام 1971م انتقلت المكتبة إلى المبنى الحالي بكورنيش النيل برملة بولاق، والذي صمم ليكون صالحًا لأداء الخدمات المكتبية الحديثة."

2 - إدارة المجموعات الخاصة

وهي إدارة حديثة تم استحداثها لتواكب متطلبات العصر وتنوع الباحثين وهي تتكون من ثلاثة أقسام:

أ- قسم الفنون :

تضم قاعة الفنون مكتبة زاخرة بأحدث الكتب والمراجع فى مختلف الموضوعات الفنية (تاريخ - عمارة - نحت - رسم - تصوير - طباعة - ديكور- سينما - مسرح ... إلخ

دار الكتب والوثائق القومية بمبني كورنيش النيل

ب- قسم الموسيقى :

تحتوي على مجموعة كبيرة من الأسطوانات وأشرطة الكاسيت والنوت الموسيقية كما تضم مجموعة من الكتب والمراجع والموسوعات الموسيقية؛ وبها فهرس بطاقى يسهل عملية البحث بالنسبة للأقراص السمعية والأشرطة والكتب .

ج- قسم المكفوفين.

تحتوى هذه القاعة على العديد من الكتب لذوى الإعاقة والكتب بطريقة برايل الحروف البارزة ومجموعة من الأسطوانات والأشرطة الخاصة بهم .

3 - إدارة المكتبات الخاصة والمهداة

وتضم المكتبات المهداة مجموعات كبيرة لمشاهير الأدباء والمفكرين، أمثال: (عباس العقاد، وأحمد تيمور باشا، وأحمد زكى باشا، وغيرهم...) كما تضم المكتبات الخاصة مكتبات الأسرة المالكة المصرية التي آلت للحكومة المصرية بعد الثورة. والمكتبات الخاصة والمهداة والتي تضم أعظم وأندر المخطوطات وأوائل المطبوعات باللغة العربية وغير العربية بالإضافة إلى

مخطوط من مقتنيات دار الكتب المصرية

رصيد ثرى للغاية من ألبومات الصور والمطبوعات باللغة العربية واللغات الأوروبية.

4 - الإدارة العامة للمكتبات العامة

وتتولى الإشراف الفني على المكتبات الفرعية التي يبلغ عددها 28مكتبة عامة بالقاهرة والأقاليم، بالإضافة إلى المكتبات النوعية للأطفال، والمكتبات المتنقلة التي تقوم بزيارة ثلاثين موقعًا في القاهرة الكبرى مرة كل 15 يومًا، كما تشمل هذه الإدارة إدارة الفهرسة المركزية، والفهرس الموحد.

وتشمل :

- إدارة المكتبات المتنقلة.
- إدارة مكتبات القاهرة.
- إدارة مكتبات الأقاليم .
- إدارة الفهرسة المركزية.

5 - دار الكتب بباب الخلق

وضع الخديوي عباس حلمي الثاني حجر الأساس لهذا المبنى في يناير 1899م وفتحت أبوابها إلى الجمهور عام 1904م، وقد استمرت في أداء وظيفتها كمكتبة وطنية تقدم خدماتها للباحثين والقراء حتى 1971م وهو العام الذي نقلت فيه إلى المبنى الحالي لها بكورنيش النيل برملة بولاق.

بدأت عمليات الترميم والتطوير للمبنى التاريخي بباب الخلق لإعادة الوجه المعماري والحضاري له في عام 2000م ليكون منارة للثقافة والتنوير على أحدث النظم العالمية، واستغرقت عملية التطوير أكثر من ستة أعوام.

تضمن مشروع تطوير المبنى: تحويله إلى مكتبة متخصصة في الدراسات الشرقية تضم مخطوطات الدار (العربية والتركية والفارسية ومجموعة البرديات الإسلامية والمسكوكات وأوائل المطبوعات) بالإضافة إلى إنشاء متحف للمقتنيات التراثية هو الأول من نوعه في مصر والمنطقة العربية، والذي يضم مخطوطات نادرة ومصاحف شريفة وبرديات إسلامية ونماذج من الوثائق والمسكوكات وخرائط وأجهزة موسيقية ذات قيمة تاريخية؛ ليكون شاهدًا على ما قدمته دار الكتب من خدمات جليلة للثقافة العربية.

مبنى باب الخلق

وقد جمع مبنى دار الكتب المصرية بباب الخلق بين الطراز المعماري التاريخي واللمسات الفنية والتقنية الحديثة لكي تؤدى الدار وظيفتها وفق التطور الهائل في عالم المعلومات والمكتبات؛ ومن ثم جاء المبنى بصورته النهائية تحفة معمارية تحافظ على القديم مع وضع اللمسات الحديثة للوظيفة الجديدة للمبنى.

تم إعداد قاعات البحث والاطلاع وتجهيزها على أفضل مستوى لإتاحة الاطلاع على الكتب التراثية، وكتب اللغات الشرقية، ودوائر المعارف والموسوعات، وكتب التراجم، من خلال نظام الأرفف المفتوحة. بالإضافة إلى ذلك تم تجهيز قاعات الاطلاع الإلكتروني بأحدث

أجهزة الحاسب الآلي التي تتيح للمستخدمين الاطلاع على مقتنيات الدار من الكتب والمخطوطات والبرديات من خلال موقع الدار على الإنترنت.

تحتوي على المخطوطات واللوحات الفنية، وهي معدة بنظام الأرفف المغلقة وبها فهارس تساعد الباحثين على الوصول إلى رقم المخطوط وموضوعه.

وقد تم تخصيص مكان بالمكتبة للعرض المتحفي يضم مجموعة من أندر وأثمن المقتنيات التراثية الذي تقدم من خلاله دار الكتب أعظم ما خلفته الثقافة العربية، والإنسانية من مخطوطات في مختلف المجالات تشمل الدين والطب والفلك والأدب واللغة، كتبت باللغات العربية والتركية والفارسية، ومصاحف شريفة مخطوطة تتميز بجودة خطها وبراعة زخرفتها وجمال نقوشها المحلاة بالذهب وبرديات ولوحات الخط العربي، وأوائل المطبوعات، والدوريات، والخرائط، والعملات، والمسكوكات، ومقتنيات متحفية يراها الزائر لأول مرة، وقد تم تصميم قاعات العرض المتحفي على أحدث مستوى تقنى.

معمل الترميم والميكروفيلم والتصوير

يتولَّى معمل الترميم و الصيانة مهمة الحفاظ على مقتنيات دار الكتب من المخطوطات والمطبوعات والكتب النادرة، بالإضافة إلى التوعية العامة بقيمة التراث وكيفية التعامل معه والحفاظ عليه. ويقوم المعمل -أيضًا- بالتصوير الميكروفيلمي لجميع المقتنيات

قاعة المكتبات الخاصة والمهداة

النادرة من المخطوطات والمطبوعات، وكذلك تصوير جميع المقتنيات النادرة من المخطوطات والمطبوعات.

الإدارة المركزية للمراكز العلمية

وتتكون من ست مراكز علمية أهمها:

1 – مركز تحقيق التراث

الأصول التاريخية للمركز:

يُعتبر مركز تحقيق التراث امتدادًا طبيعيًا للجان والأقسام التراثية التي أشرفت عليها دار الكتب المصرية خلال تاريخها الممتد من سنة 1870م إلى الآن، وقد تم إنشاء مركز دراسات تحقيق التراث القومي ونشره سنة 1966م، وهو المركز المعروف اختصارًا بمركز تحقيق التراث، والذي يواصل عمله إلى الآن.

ويُشرف على المركز لجنة علمية من بعض كبار المحققين والعلماء المعنيين بالبحوث والدراسات التراثية. كما يتم العمل في المركز من خلال عدة لجان علمية، مختلفة التخصصات، ومن أهم هذه اللجان ما يلي:

1 – لجنة اللغة العربية وآدابها.
2 – لجنة الدراسات الإسلامية.
3 – لجان التاريخ الإسلامي.
4 – لجنة التراث العلمي العربي.

المكتبات المتنقلة بحديقة الحيوان بالجيزة

تضم كل لجنة مجموعة من الباحثين، تعمل تحت إشراف أستاذ متخصص

2 – مركز تاريخ مصر المعاصر

يُعد مركز تاريخ مصر المعاصر المركز الوحيد المتخصص في دراسة تاريخ مصر الحديث والمعاصر، وقد أنشىء في 25 يونيو 1964 بمقتضى قرار وزير الثقافة والإرشاد القومي الدكتور محمد عبد القادر حاتم، تحت مسمى «مركز دراسات التاريخ القومي»، وكان تابعًا لمصلحة الاستعلامات .

وفي 27 يوليو 1967،صدر القرار الوزاري رقم 145 لسنة 1967 بتغيير اسم المركز إلى «مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر»، وصار تابعًا مباشرة للدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة،حينئذ، وتم اختيار الأستاذ الدكتور محمد أنيس –أستاذ التاريخ الحديث بجامعة

القاهرة- للإشراف عليه، وفي عام 1968 تم ضم المركز إلى دار الكتب والوثائق القومية وأصبح إدارة عامة، والتحق بالمركز عدد من الباحثين الذين حصلوا على درجاتهم العلمية، وأصبحوا من أبرز أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية، وولى بعضهم مناصب رفيعة المستوى في جامعاتهم .

وفي عام 1996 تم حذف كلمة (وثائق)، وذلك لفصل الاختصاصات، وعدم الخلط بينه وبين دار الوثائق القومية، وأصبح الاسم الحالي «مركز تاريخ مصر المعاصر»، ويتبع الإدارة المركزية للمراكز العلمية المتخصصة بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية . وفي خلال تلك الأعوام انضم إلى العمل بالمركز عدد لا بأس به من الباحثين الحاصلين على الدرجات العلمية، سواء الماجستير أو الدكتوراه الذين أسهموا في بعث الحيوية في أوصاله.

مركز توثيق وبحوث أدب الطفل

3 - مركز توثيق وبحوث أدب الطفل

يقع المركز في مبنى مستقل بميدان المماليك بمنيل الروضة، القاهرة، وأنشئ هذا المركز في عام 1988م، ويهتم بكل القضايا التربوية والتوجيهية والتقويمية والبحثية الخاصة بالطفل المصري، ومن أهدافه:

- جمع وتوثيق كل المواد المتعلقة بأدب الأطفال في مصر والوطن العربي .
- تسهيل عمل الباحثين في مجال أدب الأطفال .
- تقديم الخدمات البحثية للمستفيدين منها. تقديم الخدمات المتميزة للأطفال عن طريق المكتبة النموذجية الملحقة بالمركز .
- يشرف على المركز لجنة علمية من الأساتذة المتخصصين في مجال الطفولة.
- صدر عن المركز عدة أعمال علمية في مجال تخصصه، كما صدرت عنه عدة أعداد من مجلته العلمية المحكمة بعنوان «أدب الأطفال دراسات وبحوث».

عملية المسح الرقمي وإدخال المقتنيات إليكترونياً

4 - مركز الترميم والصيانة و ا لميكر و فيلم

إن عملية حفظ المخطوطات والكتب والمقتنيات الثقافية بدار الكتب المصرية يتلازم معها عمليات الترميم والصيانة والتي كانت موجودة بدار الكتب منذ وقت طويل، ولكن تم ضبط ذلك بشكل علمي منظم ودروس مع إنشاء مركز الترميم والصيانة والميكروفيلم عام 1974م، وكان الهدف من إنشائه العناية بالمخطوطات والكتب النادرة، وعلاج ما أصابها من تلف عبر السنوات على أساس علمي، وهو أحد المحاور الرئيسة في دار الكتب المصرية، وقد قام الدكتور يوسف شوقي بالإشراف على إنشائه ووضع دعائمه الأولى من معامل بحثية ووحدة ترميم ووحدة الميكروفيلم، وتوفير الأجهزة والخبرات الأجنبية (روس وإيطاليين) لتدريب العاملين علي أحدث طرق الترميم و الصيانة، وكان العمل يتم يدويًا فقط في وحدة الترميم، وقد صدر عن المركز في عام 1979م مجلة علمية باسم المجلة العلمية لبحوث ترميم وصيانة المقتنيات الثقافية والفنية أشرف عليها الدكتور حسام الدين عبدالحميد مدير مركز بحوث الترميم (وقتئذٍ).

تطوير مركز ترميم دار الكتب

وبعد مرور عشرين عامًا على إنشائه، تم تحديثه عن طريق التعاون بين وزارتي الثقافة المصرية و الإسبانية (دار الكتب و صندوق التنمية الثقافية و العلاقات الخارجية للحكومة الإسبانية) حيث تم إعادة البنية الأساسية للمباني بحيث وزعت علي منطقتين (منطقة الإدارة والمكتبة الخاصة بالمركز و وحدة

أعمال حفظ وترميم المقتنيات

الميكروفيلم ومكتبتها ومنطقة المعامل و وحدة الترميم و التسجيل) و بعد إعداد المبنى، تم تجهيزه بأحدث الأجهزة والمعدات و الأثاث، وإمداد المركز بأجهزة الترميم الآلي (جهاز التصفيح و مكينة سد الثقوب) و افتتح المركز بعد تدريب العاملين به علي الأجهزة الجديدة علي يد خبراء أسبان سنة 1997م، و في عام 2001م تم إضافة وحدة لترميم البردي، وأضيف أيضًا وحدة لترميم الرق،ويقوم على العمل بالمركز نخبة من الباحثين المتخصصين في مختلف التخصصات الموجودة، وتشرف لجنة علمية متخصصة على مراكز الترميم والصيانة الأربعة بالهيئة.

أعمال الرقمنة:

ونظرا لمتطلبات العصر فقد تم البدء في مشروع طموح لرقمنة الكتب والدوريات وكافة مقتنيات الدار لإتاحتها للباحثين بصورة إليكترونية، باستخدام أحدث أجهزة المسح الرقمي، وذلك من خلال العديد من معامل المسح والتي تعمل بكفاءة، وتم حتى الآن رقمنة ما يزيد عن 12 ألف كتاب وآلاف الخرائط والدوريات وجاري العمل على هذا المشروع الضخم.

الاطلاع الإلكتروني:

وللاستفادة من هذه المقتنيات المرقمنة تم افتتاح قاعة للاطلاع الإلكتروني داخل الدار، مزودة بأحدث أجهزة الحاسب الآلي وبالوسائل التكنولوجية الحديثة لخدمة كافة الباحثين من المصرين والأجانب.

ويتضح مما سبق جهود دار الكتب المصرية في مواكبة العصر ومحاولة الحفاظ على مقتنياتها من التراث،والحرص على تقديم أفضل الخدمات للباحثين والمترددين عليها من كافة أنحاء العالم.

قراءةٌ في مفرداتٍ لغويةٍ اشتُهرتْ بـ (الترادف) في المعنى

مفارقات لغوية من القرآن الكريم

لعل مسألة (الترادف) في مفردات اللغة العربية كانت محل تباين بين اللغويين قديماً وحديثاً، ولو كنت أنحاز اليوم لفريق منهما لكنَّ التجربة وتراكم الخبرات تُحتم على كل باحث وقارئ أن يقف عند نقطة التساؤل والبحث عن الجديد في لغتنا لأن باب الاجتهاد في اللغة سيبقى مشرعاً، وموقف الباحث فيه لابد أن يرتكز على الموضوعية في النظر إلى مفردات اللغة وسياق الكلام، لقد قال بـ (الترادف) في مفردات العربية قديماً عدد من أعلام البلاغة ومن أشهرهم عبد القادر الجرجاني 471هـ والإمام السيوطي 911هـ وابن جنّي 392هـ وابن خالويه 370هـ وأبوبكر الزبيدي 379هـ والرمّاني 384هـ .

بقلم: علي سويدان*

ربما كان الذين قالوا (بالترادف) وأثبتوا أمثلته ودلالاته في اللغة كانوا أكثر ممن أنكروه؛ ولسنا مع العدد في ذلك بل مع بيان أدلة المثبت من المنكر له.

أما الذين قالوا بعدم (الترادف) في مفردات العربية قديماً لعل أقدمهم قُطُرب المتوفى 206هـ وهو من تلامذة سيبويه وهو القائل عن الترادف بأن تكرار العرب للفظتين على المعنى الواحد يدل «على اتساعٍ في كلام العرب»، وقال بعدم الترادف أيضاً ابنُ درستويه 347هـ ومعاصُره أبو هلال العسكري 920هـ وكذلك ابن فارس 395هـ وابن الأنباري 328هـ .

* كاتب سوري مقيم في الكويت.

وإذْ أن الحديث في قضية (الترادف) في اللغة تعدُّ باباً واسع التناول فيه تباينُ بين اللغويين فإن ذلك الحديث يدفع إلى مزيد من الاهتمام في دلالات الألفاظ إن كان في السياق القرآني؛ لارتباط تلك المفردات بخطاب سماوي يستندُ إليه التشريعُ، وتؤخذ منه التعاليم، فضلاً عن أن القرآن هو كلام الربّ سبحانه واضح البيان تامُّ المعنى كل مفردة فيه لها دلالتُها على معنى بعينه، وقد بيَّن اللّه تعالى وضوح هذا الكتاب في سورة فُصِّلَتْ الآية 3 «كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُون».

وعلى هذا النهج من القول نميل إلى القول بعدم (الترادف) في مفردات القرآن الكريم وأن لكل مفردة في كتاب اللّه معنى خاصاً بها حسب سياقها في النص ولها دلالتها الخاصة وفقاً للخطاب الإلهي ومُناسِبةً لسبب النزول.

ولأنني لست مع ما يُطلق عليه (ترادف) في اللغة، فقد جاز أن نقول: لدينا مفارقات لغوية في مفردات اعتاد الناس أن يطلقوا عليها مسمى (ترادف)؛ وآلية بحثنا هذا هو بتتبع المفردة في كل سياقات القرآن الكريم التي وردت فيها، ثم إجراء مقارنة من حيث المفردات المصاحبة للمفردة نفسها في السياق نفسه وبيان المفارقة بينها وبين ما قيل بـ (الترادف) بينها وبين مفردة أخرى، وفيما يأتي أمثلة من كتاب اللّه تعالى على سبيل البيان لا الحصر ربما عدَّهُ بعض المفسرين واللغويين وكثير من القراء والمثقفين أن بين مفرداتها (ترادف):

الماء والمطر

كلما ذكر الرب سبحانه الماءَ في موضع من مواضع التنزيل وكانت صيغة الكلمة (ماء) أو (الماء) من غير إضافة، كانت دليل بركة في موضع، وآية من آيات اللّه في موضع، وأشهر ذلك بيان أنها أصل الحياة والإنبات والطُّهْر؛ ففي سورة البقرة آية 22 «وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم»، وفي الأنفال: آية11 «ويُنزِّلُ عليكُم منَ السماءِ ماءً ليُطَهِّرَكُمْ بِه» وفي سورة الأنبياء آية 30 «وجعلنا من الماءِ كلَّ شئٍ حيٍّ». بينما لم يأتِ ذكر المطر في القرآن الكريم إلا على وجه العذاب، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء آية 173 «وأَمْطرْنا عَلَيْهِمْ مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ»، وفي الأنفال آية 32 قوله تعالى: «فَأَمْطِرْ علينا حجارةً مِنَ السّماءِ، وفي الحِجْرِ آية 74 «وأَمْطَرْنا

عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ»، وهكذا لنتتبع الآيات التي وردت فيها مفردة (مطر) وما يشتق منها سنجد سياق الآية في كل موضع يعرض نزول العذاب والغضب على مستحقيه، والكلمتان (الماء والمطر) أخذتا في سياق اللفظ دلالةً تعطينا كلُّ واحدةٍ منهما معنىً مغايراً.

رَأى ونَظَرَ

بينما تأتي مفردة (رَأى) وكل كلمة يكون أصلها اللغوي من (رأى) مثل: (يُريكُمْ / يَرَوْنَ / تَرىَ / أَرِني / يَرَوْنَهُمْ) حين تأتي هذه المفردة (رأى) في سياق ما يكون الكلام فيه عن اليقين الثابت المستند إلى الاعتقاد والصورة الواضحة للأمر، ومن أمثلة ذلك قول اللّه تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام آية 77 «فلما رَأَى الْقَمَرَ بازغاً قال هَذا رَبّي» وفي السياق العام في السورة نفسها أمثلة كثيرة، وفي سورة النجم آية 11 «ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأَى»؛ وفي سورة البقرة آية 167 «كذلك يُرِيهِمُ اللّه أَعْمالَهُمْ حَسَرات عَلَيْهِمْ»، والأمثلة في الرؤية كثيرة وكلها مرتبطة بالتفكُر وإعمالِ العقل والفهم والاعتقاد والإذعان للحقيقة والاعتراف بالذنب. أما النظر ومفردة (نَظَرَ) وجميع الكلمات الواردة في الآيات الكريمة في كتاب اللّه مرتبطة بالصورة الخارجية لعمل العين وسطح الأشياء وظاهرها ولا ترتبط بالضرورة بالقناعة أو التَّفكُّر، ففي سورة التوبة مثلاً آية 127 «وإذا ما أُنْزِلَتْ سورةٌ نَظَرَ بَعضُهمْ إلى بعضٍ»، وفي سياق الإدانة لبني إسرائيل يقول لهم اللّه تعالى في سورة البقرة آية 50 «فأنجيناكُمْ وأَغرقنا آل فِرْعَوْنَ وأنتم تنظرون» أي لم يكن إيمانكم يقينا بل مظاهر ترتبط بالنظر، وفي سورة الأنعام الآية 99 «انظروا إلى ثَمَرِهِ إذا أَثْمَرَ ويَنْعِهِ» كل ما سبق يجري عليه عمل النظر بظاهره وهو معنىً مختلفٌ تماماً عن الرؤية، ومما يبين مفارقة واضحة وجلية بين (رأى) و(نَظَرَ) قوله سبحانه في سورة الأعراف آية 143 «ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكَلَّمَهُ رَبُّهُ قال رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ»، وبعيداً عن أقوال المفسرين يتضح هنا لغةً أن طلب موسى من الرب هو طلبُ رؤية ترتبط بالنظر، لذلك كان الرد من اللّه تعالى: «قال لن تَراني ولكنْ انظر إلى الجبل..» وهي تتمة الآية نفسها وفيها بيان أنك يا موسى لن تكون لك الرؤية في الدنيا مقترنة بالنظر ووجهه للنظر إلى الجبل، إذا نحن أمام مفردات خاصة حين تأتي في سياق لا يمكننا أن نطلق عليها المعنى نفسَهُ

إن جاءت في سياق آخر، فكيف نُجوّزُ لأنفسنا لغةً أن نطلق معنىً واحداً على مفردتين مختلفتين في مبنى الكلمة ؟ ونحن نعرف جيداً أن الزيادة في المبنى تَلْحَقُهُ زيادة في المعنى، فماذا حين يكون الأمر ليس مجرد زايدة؟ إنها كلمة أُخرى ومعنىً آخر.

سَمِع وأنْصَتَ

قد يأخذ الاستماع معناه الشائع في العربية إلى القناعة الملازمة للحق وقد يأخذ إلى نقيض ذلك؛ وفي تتبعنا لمفردة (سَمِعَ) وما أُخذ منها في اللغة مثل (يستمع / يسمعون / يسمع / سمّاعون...) وغير ذلك من مشتقات المفردات في الاستماع نجد قول الله تعالى: «أطيعوا اللّه ورسولَهُ ولا تولَّوا وأنتم تسمعون» وهي في سورة الأنفال آية 20 وفي السورة نفسها آية 23 «ولو عَلِمَ اللّه فيهم خيراً لأسْمَعَهُمْ»، وفي سورة التوبة آية 47 «وفيكم سَمّاعونَ لَهُمْ» إذا نحن أمام مفردة تفيدُ أنها حاسة الفهم ِ وقناةُ وعي أُولى للإنسان، وهي أول حاسة تعمل في الجنين في بطن أُمِّه وهي (أي الاستماع) أول مهارة في التعليم يليها استخدام البصر ثم النطقُ وبعدها الكتابة، ويتضح لنا حين نتتبع الآيات التي ورد فيها لفظ السمع ذلك المعنى كونه قناة نحو الخير أو قد يكون على النقيض من ذلك. أما في متابعة مفردة (أنصت) نجد أنها وردت في موضعين فقط في القرآن الكريم وكلا السياقين

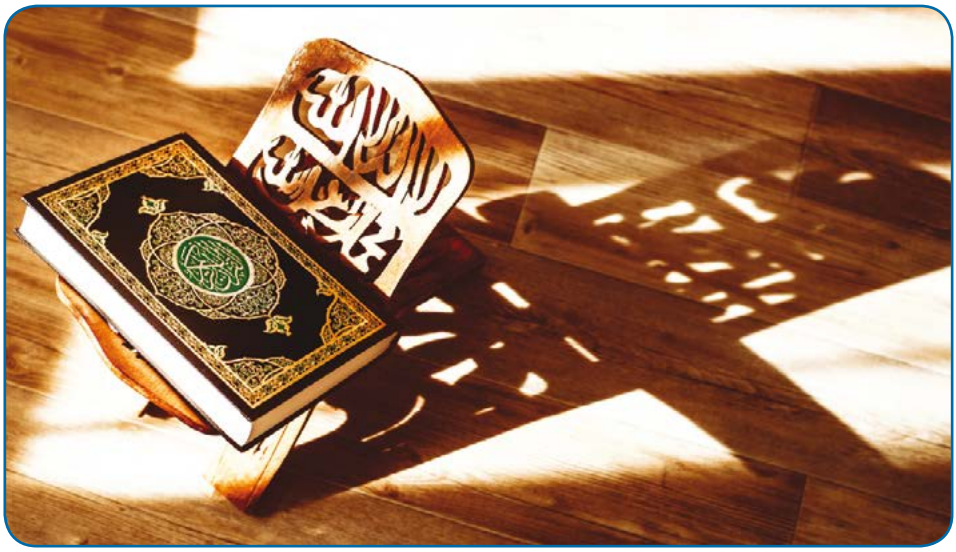

يدفع بالكلمة نحو الدعوة إلى الإصغاء من أجل القناعة المطلقة بما يُرادُ فهمه؛ كما في سورة الأعراف آية 204» وإذا قُرئَ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحَمُونَ» ويتضح لنا أن وجود كلمة (أنصتوا) ترتبط بالرحمة إذْ أن السمع وحده قد يقود إلى الخير أوخلافِه لما تقدّم. وفي سورة الأحقاف آية 29 وهي تُوضح المفارقة بين الاستماع والإنصات قال تعالى: «وإذا صَرَفْنا إليكَ نَفَراً مِنَ الجنِّ يستمعونَ القرآنَ فلمّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا فلمّا قُضِيَ وَلَّواْ إلى قومهم مُنْذرينَ»؛ إذْ أنَّ الجن كانوا يستمعون القرآن فقالوا لبعضهم: (أنصتوا) أي أن الإنصات شئ والاستماع شئ ولا ترادف بينهما، فلكل مفردة دلالة لغوية خاصة.

طَلَعَ وخَرَجَ

واضح أن طلوع الشيء هو ظهور أوله، وفي متابعة السياق الذي تَرِدُ فيه (طَلَعَ/ طَلْعٌ/ يُطْلِعَكُمْ...) وغيرها من كلمات أصلها من (طَلَعَ) نجد مثلا آية 179 من سورة آل عمران قول الله تعالى: «وما كان اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغيب» أي ولا على أوله أو جزء منه، وفي سورة الكهف أية 17 «وتَرَى الشمسَ إذا طَلَعَتْ تزاورُ عن كَهْفِهِمْ ...» وطلوع الشمس هنا أول ظهورها قبل تمام الإشراق، وفي سورة ق آية 10 «والنَّخْلَ باسقاتٍ لها طَلْعٌ نضيد» وهو أول الرُّطَب؛ كل ما سبق وكل مفردة وردت في القرآن الكريم أصلها من (طَلَعَ) تفيد ما

تقدم من ظهور أول الأشياء حسب المراد. أما (خَرَجَ) فهي تفيد ظهور الشئ كله وكمال ظهوره؛ ويتضح ذلك من قوله تعالى في سورة البقرة آية 243 « وإنَّ منها لما يَشَّقَّقُ فيخرجُ منهُ الماءُ» وخروج الماء واضح أنه بتدفُّق وباستمرار، وفي الأعراف آية 18 «قال اخرجْ منها مَذْمُوماً مَدْحُوراً» أي إبليس وهو إبعاد تامٌّ فيه كمال الظهور عن الجنة، وفي سورة مريم آية 11 «فَخَرَجَ على قومِهِ مِنَ المِحْرابِ..» أيْ ظهر زكريا عليه السلام على قومه وطَلَبَ إليهم أن يسبحوا بُكْرةً وعَشِيّاً وذلك بالتأكيد يقتضي الظهور التام. وحين نتتبَّعُ كلا المفردتين وسياقاتهما في كتاب الله تعالى نلحظ مفارقة ً ولا (ترادف) بينهما.

القلبُ والفؤاد

ل يس بعيداً أنْ سُمّيَ القلب ُ قلباً لِتَقَلُّبِه، ولعلَّه ُ وعاء لا يُعرفُ ما بداخله؛ وحين نقرأ بتمعُّنٍ الآياتِ التي ورد فيها لفظة (قلب) نجد ما يدل على ما سبق من معنىً كما نلحظ بيان أنَّ القلبَ بيتُ الوعي ومحلّ الشعور من الإنسان؛ ففي سورة آل عمران آية 8 «ربنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا..»، وفي سورة البقرة 260 «قال أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قال بلى ولكنْ لِيَطْمَئِنَّ قلبي» وفي آل عمران آية 167 «يقولونَ بأ ف واهِهِم ما ليسَ في قُلوبِهِمْ» وفي آل عمران أيضاً آية 159 «ولو كُنتَ فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حولِكَ»..؛ كل الـ سـ ياقات اللغوية في القرآن تفيد أن الـ قـ لب هو محضن الإيمان بالمعتقدات وهو موضع الوعي والفهم والشعور.

أمّا (الفؤاد) حين نتتبَّعُ المفردة في كتاب الله تعالى نلحظ أن الآيات التي وردت المفردة فيها أغلبها الآيات جاءت مرتبطة بالإبصار والاستماع؛ ففي سورة النحل 78 «وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَ فْئِدةُ لَعَلَّكُم تشكرونَ»، وفي سورة إبراهيم آية 43 «لا يرتدُّ إليهم طَرْفُهُمْ وأَ فْئِدَتُهُمْ هواء»، وفي سورة الإسراء آيـة 36 «إنَّ السَّمعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئولاً»، ولو تابعنا ذلك المعنى ربما عرفنا أن الفؤاد هو موضع السمع والبصر في القلب، ونقول البصر لا النظر؛ فالنظر كما تقدّم هو كشفُ الصورةِ الظاهرة في العين، والبصر هو آلة الإبصار في عدسة العين. إذن للقلب معنى وللفؤاد معنىً آخر والمفارقة هنا واضحة.

عَرَفَ وعَلِمَ

معرفة الشيء هي استبيان واستقراء خبره من ظواهر أموره، والفَراسَةُ في صاحبها جزء من المعرفة وهي جلية عند العارف سواءٌ اعترف علناً بها أو أظهر إنكارها، أما عند غيره فلعلها تكون غير مُلاحظَة؛ سوف نجد هذا المعنى اللغوي في تتبُّعنا للآيات الواردة فيها لفظ (عَرَفَ / يَعْرِفُ / يَعْرِفونَ / عَرَفوا ...) وغيرها من كلمات أصلها اللغوي (عَرَفَ)؛ فنرى في سورة الأعراف آية 26 «وَعَلى الأَعْرافِ رجالٌ يعرفون كلّاً بسيماهُمْ..» وفي سورة النحل آية 83 «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّه ثُمَّ يُنْكِرُونَها»، وفي سورة البقرة آية 89 «فلمّا جاءهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا به» وفي سورة يوسف آية 58 «وجاء إخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ»، كل ما سبق وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم من آيات فيها كلمة (عَرَفَ) وفي مختلف السياقات كلها تأخذ نحو ما تقدّم من معنى المعرفة، أما كلمة (عَلِمَ) ومنها (العِلْمُ / عَلَّمْنا / يَعْلَمُ / عُلَماءُ / يَعْلَمونَ) كل هذه المفردات ومشتقاتها تدل على أن العِلْمَ هو دراية عميقة مستندة إلى تجربة وحقائق لا لَبْسَ فيها ولا يمكن التشكيكُ فيها لأن الدلائل عليها لا تحتاج إلى استحضار فهي واضحة، ومن خلال قراءة الآيات التي ورد فيها لفظ (عَلِمَ) وما أُخذ منه مِنْ كلمات نجد أنها كلها تفيد الخبر المثبت والذي لا يأخذ الشك أو الريب طريقاً إليه؛ ففي سورة يوسف آية 68 «وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ ولكنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ»، وفي سورة النساء آية 157 «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتباعَ الظنِّ ..»، وفي سورة البقرة آية 32 «قالوا لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما علمتنا»، وفيها أيضاً آية 187 «عَلِمَ اللّه أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ» فكل ما تقدّم من آيات كريمة تَتَّجِهُ بمفردة (عَلِمَ) وكلماتها المأخوذة منها نحو الحقيقة الثابتة وصاحبها العالِمُ فيها المستيقن بها وهذا المعنى فيه مفارقة جلية لمفردة (عَرَفَ).

كل ما تقدّم من شواهد لغوية تأخذنا بعيداً عن ما أُطلق عليه (ترادف)، وحين نقول باستئثار كلِّ مفردةٍ في القرآن الكريم بدلالة خاصة يؤكدها السياقُ الذي وردت فيه، ويدعمُها تَوَجُّهُ الخطابِ في مَطلع الآية نكون في اتجاه واضح نحو صياغة فهم أكثر دقةً للنصوص، وأوسع بيانا في اللغة، وأسمى وَعْياً في انتقاء الألفاظ في خطابنا الموجَّه للآخرين، وسينعكسُ ذلك على لغة الإنصاف في المطالبة بالحقوق وبأداء الواجبات، وكل ذلك يأخذنا إلى إنها لغة مُعجِزَةً.

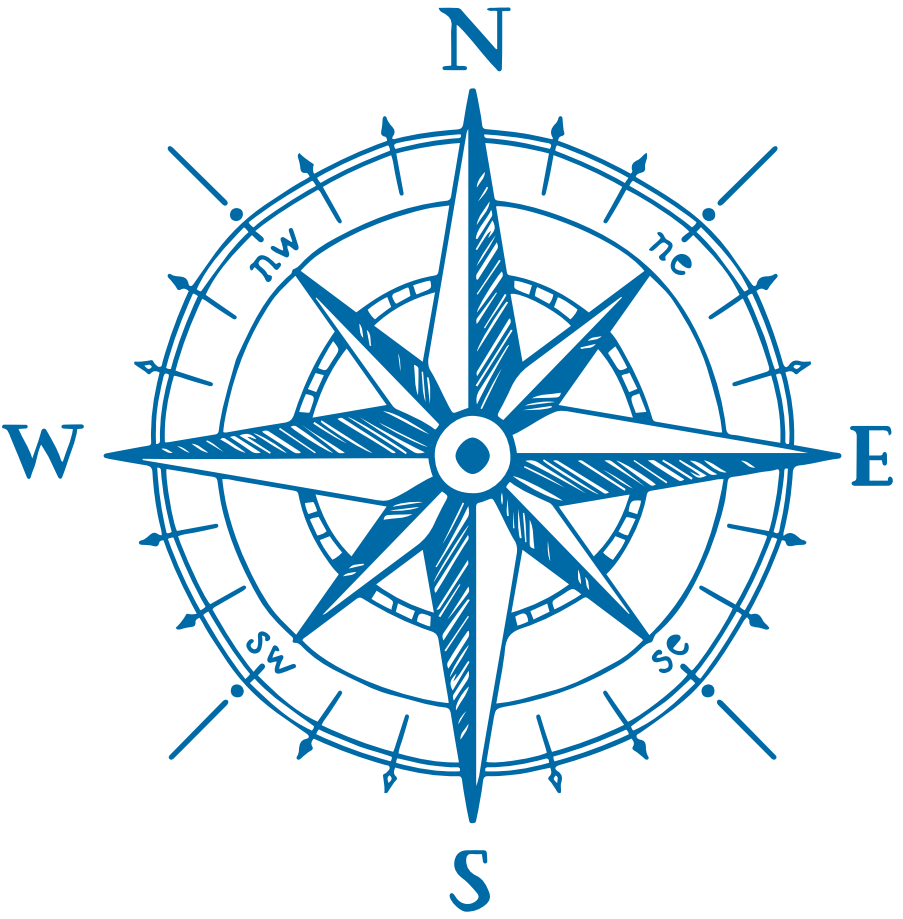

رحلات

تونس عشبة الفينيق..

بقلم: أحمد مبارك البريكي*

في رحلة مع البكور.. دارت فيها رحى اليوم وراحت ساعات النهار تترى بين نافذة ونافذة، وبوابة عبور.. وبوابة، تقاذفتني بها المطارات.. ومدارج الطيران، ومحطات الترانزيت. طائرٌ في طائرة، حتى وصلت مع ليل شتوي إلى أرض قرطاجنة، ومهد المهدية.. ومسقط رأس ابن خلدون، تونس.

تونس عشبة الفينيق، وقطرانُ الزيتون.. وعظمة هانيبال، بقعة خضراء سعيدة في وسط جبين القارة السمراء.. تتلألأ هناك على جانب الأبيض المتوسط، ومن اسمها أخذت أفريقيا اسمها.. كانت مقراً منذ القدم لكل حضارة تسود فتبيد، وتبقى هذه الخضراء بعلمها الأحمر.. مقاماً للانعتاق وشعباً ذا إرادة حية يكسر أغلال القيود.. ويجلي ليالي الغزاة.

أنطلقُ مع نهاية السنة وبداية هذا اليوم في رُبا القطر العربيّ الذي شكّل في ذاكرتي حبة كهرمان في مسبحة وطني الكبير، ومع تهادي النور في الفجاج الدامسة.. كنت قد حططت قدميّ في أول شارع الحبيب بورقيبة منتصف العاصمة.. والذي يعدّه التوانسة «شانزليزيهم».. على غرار الشارع الأصيل في مدينة النور، فها هو الصبح يقبل جميلاً يملأ الأفق بهاه.. كما أنشد الشابيّ وهو يصف الزهر والطير وأمواج

* كاتب كويتي

المياه.. قد أفاق العالم الحر.. وغنّى للحياة، تأسرني المقاهي المتسطرة على امتداد شارع الحبيب.. ورائحة قهوتها. فأقيمُ على مائدة في قارعة لحضور محفل الفنجان.. وأتابع لأصدف معرضاً صغيراً للكتب تحت رواق خيمة مبنية في عمق الطريق المؤدي إلى باب البحر الذي يفصل المدينة الحديثة عن سوقها العتيق.. ويعتبر الشعب هنا شعباً متعلماً يهتم بالثقافة والفنون والجمال، وهذه صبغة تميّز بها أهل تونس.. فلا غرابة فتونس هي مهد الأدباء و رائدة الفكر، وها هو ولي الدين عبدالرحمن ابن خلدون يقام له صرحاً عند الناصية كتب فيه «ولد في هذه المدينة».. وهو صاحب المقدمة وباني علم الاجتماع، وقد تخرج في جامع الزيتونة الذي زرته عند الظهر.. وارتقيت بالقرب منه بناءً مطلاً بشكل بانورامي مدهش.. شاهدت من على سطحه كل الأرجاء التونسية.. بشقيها الأصيل والحداثي. متحف باردو الذي يعد المتحف الوطني لتونس، خطفت قدماً إليه لأصافح عظمة فن الفسيفساء القرطاجية، وأرى إرث الرومان.. وموروثات البشر الذين عبروا هذه الأرض منذ القرن الثاني قبل الميلاد حتى عصرنا العربي. قبل المساء وانطفاء الشمس الأخيرة، اخترت مدينة حلق الوادي الساحلية في شرق تونس لتكون محطتي لخلاص العام ومائدة أختبر فيها سمك البحر الأبيض المتوسط.

القيروان.. استراحة القافلة، ورائحة التاريخ.. هذه المدينة القارة التي سعيتُ إليها هذا اليوم، لأصلها في ضحى النهار، فأجدها كما كانت في ذاكرتي محطة للفتوحات وساحة لمحافر الجيوش وغباراً للمعارك والانتصار، ونقطة انطلاقٍ إلى رُبا الأندلس الندية.. عرّفها المسلمون منذ زمان بأنها «رابعة الثلاث» بعد البقع المقدسة..وذلك لمكانتها المهمة في صدر الإسلام، فهي عاصمة الأغالبة ومركز النور الذي شعّ لقرون يبعث العِلم.. وكتائب المنتصرين، تسطع الشمس قبل زوالها فتتسكب شقاراً في بياض باحة جامع عقبة بن نافع وبمنارته المئذنية المرتفعة لأكثر من 30 متراً.. ويعد هذا الجامع أقدم دار

> **أنشد الشابيّ وهو يصف الزهر والطير وأمواج المياه.. قد أفاق العالم الحر.. وغنّى للحياة، تأسرني المقاهي المتسطرة على امتداد شارع الحبيب..**

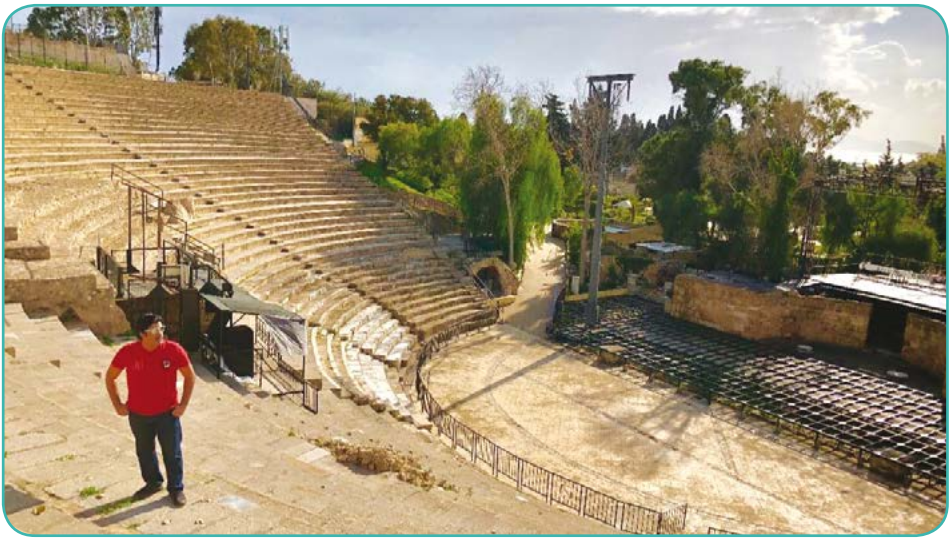

في المسرح الروماني في قرطاج

عبادة في غرب أفريقيا.. أنشىء بسواعد أيادي جيش بن نافع بعد اتخاذ القيروان، مكاناً للتمركز وحاضرةٍ لعهود إسلامية ستكون. وعلى محرابه قال عقبة مقولته الشهيرة: «اللهم اشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كَفر بك حتى لا يُعبد أحد من دونك». ويزعم كثير من أهل القيروان بأن جامع القيروان أقدم من المدينة نفسها وهو كناية عن علاقة الجامع بالمدينة.

عند أروقة الجامع الكبير صدفت مرشداً مُسناً من أهل المدينة أخبرني بأن صنعة «الدليلة» هذه قد أخذها من جدوده، فعرض عليّ سياحة مزوّدة بكنوز معرفته في المكان.. فما رفضت هذا العرض، وقفنا بجانب الساعة الشمسيّة في صحن الفناء، و هي اختراع المحتاج وفكرةٌ عبقرية طوّعت الظِلال لخدمة المصلين ومعرفة مواقيت الأذان.. وبالقرب شاهدت مصفاة من الرخام المنحوت في أرضية الصحن لتصفية مياه الأمطار، ثم ولجنا إلى داخل المسجد بسقفه المرتفع وأعمدة الرخام الكثيرة المسحوبة من بقايا حضارة الرومان في قرطاج لتخدم البناء، تتقبّبها الأقواس القرطبية الشهيرة، والهندسة المميزة التي تعكس نهضة عصور الإسلام، أشار المرشد إلى بضع نقوش في صحون مذهبة عُلّقت

بشكلٍ أفقي على أحد الجدران ليقول: بأنها منقوشة بماء الذهب وهي تحوي آياتٍ كريمة أهداها الخليفة العباسي هارون الرشيد.. لأمير أغالبيّ، وفي ركن آخر كانت الزخرفة الإبداعية على المرمر والتفنن بإظهار قدرة نقّاشي الفن في ذلك الزمن على كتابة أسماء الله الحسنى وشهادتي الإسلام مسطورة بشكل جميل.. وعند باب الخروج ودعت دليلي، لأتجه عبر زنقات الشوارع الضيقة التي تسمى هنا (نهج) فأدخل السوق المسقف العتيق.. وقد بُني في أرجاء بئر برّوطة التاريخي الذي يرجع حفره إلى بدايات تأسيس المدينة قبل 1200 عام، ولا زال يسقي القريب.. بواسطة جمل رُبط ليلتفّ كساقية.. يزوره الزوار للترفيه والتمتع. وعند ضريح الصحابي الجليل أبو زمعة البلوي توقفت.. وهو ممن شهدوا بيعة الرضوان مع الرسول الكريم، وقد هاجر مع جيش الفاتحين حاملاً بيده شعراتٍ من الرسول.. ليُشهد الأرض على إيمانه بعقيدته، ومقامه يعتبر من أهم المزارات الدينية في بلاد المغرب العربي، وقد علقت بجانب الضريح لوحتان أحدهما لحديثٍ رواه

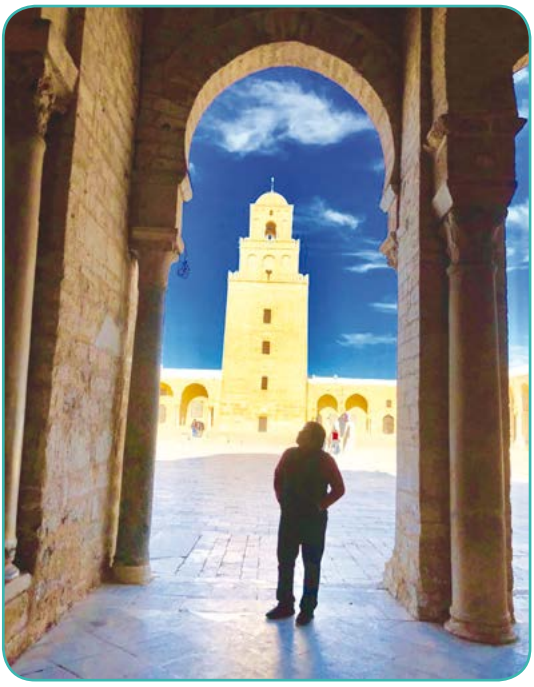

في جامع عقبة بن نافع في مدينة القيروان

عن النبي، والأخرى لرسالة هدي من الرسول للبلاد التي لم يصلها الإسلام.

هذا اليوم اتجهت محاذياً ساحل البحر جنوباً، إلى بلدة المنستير مسقط رأس أول رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال.. ومقر مدفنه، عدّاد المسافة يقف بي على بعد 180 كيلو متراً من تونس العاصمة، وعند مدخل المدينة ارتكز تمثالاً برونزياً للراحل الحبيب بو رقيبة وهو يعتمر قبعة الكاوبوي من فوق الحصان، لأنتهز خلوّ الطريق من السيارات وأعبر إلى النُصب متخذاً

صورة معبّرة، والمزار فارِه.. فقد جُعل في مكان مرموق من المدينة على شاطئ أمواجها قرب الرباط وهي قلعة قصبائية وضعت للحماية حالها كحال جميع المدن التي تسكن بجوار البحر، وساحة الضريح رصفت بحجارة فاخرة على امتداد ساحة وحديقة صارت مقصداً ترفيهياً واستراحة لأهل المدينة، حوى المكان المغلق والمؤمن بالحراسة إلى جانب الجثمان المقيم، معرضاً مصغراً كمتحف وضعت فيه أغراضاً شخصية للراحل وقطعاً من أثاث مكتبه وصوراً تمجيدية ومدافن لعائلته، والحبيب يلقبه الشعب بالمجاهد الأكبر ومحرر المرأة وباني تونس الحديثة، قرأت هذه الاستعارات مكتوبة على باب المقام، وقد توقفت عند أناشيدٍ منحوتة على الرخام كتبها شعراء تخليداً وتفخيماً له. منها قصيدة: «يا سيد الأسياد ياحبيبي بورقيبة الغالي.. يا مخلّص لبلاد.. محال ننسى فضلك من بالي».. في طريق العودة قررت نزولاً في جوهرة الساحل مدينة (سوسة) العريقة التي يتوسطها جامع المدينة القديم المبني في عهود الفتوحات الإسلامية الأولى، فسنحت لي تمشية في أسواقها القديمة، للتسوق وتذوق المشاهدة، ولفرنسا هنا حضور في أسماء الشوارع؟ والساحات، ففي كل مدينة تحضر هذه الدولة، عند محل يبيع الملابس التقليدية اشتريت جلباباً يطلق عليه شعبياً (البرنوص) واعتمرت قبعة يسمونها (الشاشيّة) وجبّة تخص المتصوّفة هي (القشاشية).. ليتقلّد جسدي ثقافة لباس أهل تونس.. ولأكون أقرب أكثر، وهذا ماكان فقد وجدت صائغاً خمسينياً نحيفاً سريع الهرج من أهل سوسة يجلس على دكة دكانه الضيق يحفر النحاس ليشكّل بأزميله رسمات ونقوشاً يبدعها فيبيعها، ولما عرّفته بأنني مسافرٌ من الكويت شدّني إليه بفرح الصديق، وراح يعدّد كل ما يعرفه عن بلدي.. ويسألني عن أحوالنا هناك في أقصى المشرق العربي، ولم يخفِ محبته لكل عربي وأمله بالوحدة الحالمة التي

> **القيروان.. استراحة القافلة، ورائحة التاريخ.. هذه المدينة القارة التي سعيتُ إليها هذا اليوم، لأصلها في ضحى النهار، فأجدها كما كانت في ذاكرتي محطة للفتوحات وساحة لمحافر الجيوش وغباراً للمعارك والانتصار، ونقطة انطلاقٍ إلى رُبا الأندلس.**

طالما تربّت عليها أجيال وعشقها شباب الأمة كأمنية وردية. يصدح صوت المؤذن قريباً من المحل الصغير فيأخذني بيدي إلى باب الجامع الأثري وهو يتحدث في كل شيء.. حتى توقف حديثه مع توقفنا هو وأنا في صفوف المصلين.

على شذا الإيمان الغابر، استند إلى حائط بعمرُ «عليسة»، ملكة قرطاج المتوّجة، وحمامة البونيق التي بَنت مُلكاً لم ينفد، وحكمت نصف البحر وأورثت ابناً اسطورياً وقائداً عسكرياً عظيما اسمه (حنبعل)، أنا الماتِر في بقايا مملكة قرطاجنة المنسوجة من عُمر السنين، والمرتفعة في أثرها إلى أعلى سلّم الحضارات البشرية، تزيدني هذه الحجارة الناطقة بالعظمة، علماً على خبر، فمع شحوب الفينيقيين وزوال الملك، أخذت روما زمام البناء وعمرت الأرض، فكانت حقبة أوغستوس تمرّ هنا، ليزخر عصر قرطاج الروماني بالثقافة والفن والترف، فهذا مسرحها الذي دخلته خاوياً في النهار، جلست على حجارته بين جمهور غائب، وشهدت هلاليته التي تحضن مسطبة العروض، ويعرف أهل فن هذا الزمن، هذا المسرح الذي يحيا فيه كل عام مهرجان أيام قرطاج

■ الكاتب أمام نصب تذكاري لابن خلدون

الغنائية والمسرحية والذي يعد من أبرز المهرجانات العربية والعالمية وأعرقها، وبعد حكم الرومان توالى في هذه الأرض تبادل المستوطنين حتى جاء الفتح الإسلامي عام 670 م، الذي سحب بساط الأهمية من هذه المدينة ليهديها للمهدية والقيروان، وأنا أدور في عالم قرطاج الذي استلب مني كامل اليوم بين أعمدة إليسا وحي حنبعل وحمامات انطونيوس التي تأتي في المرتبة الثالثة في العالم من حيث الحجم بعد حمامات كاركالا بإيطاليا وديوكلسيان بسورية، وفي المقربة أخطر على مقبرة أو (جبانة) الأميركيين الذين قضوا في الانزال الشهير بشمال أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية.

لا يمكن تجاوز تونس، من دون الحديث عن أهل الشِعر ونجوم الأدب، ولا يمكن على أي حال تنحية أبي القاسم الشابيّ عن الذِكر، هذا الفتى الراعي البسيط ابن قرية دوزر، الحامل في جوفه وروحه كثيراً من أوجاع الأمة وهموم التحرر الوطني أيام حقبة الاستعمار، والذي قرأنا معه ونحن على مقاعد الكرّاس، أناشيده وتذوقنا طعم كلماته البديعة، وأثرها الموسيقي في مسامعنا حتى ألبس كل بيتٍ نقرأه له جسد من الشاعرية والخيال، وهو صاحب القافية التي صارت مثلاً وصاحبت كل مجموعة ثائرة على أغلال الضيم والإذلال، ولابد للقيد أن ينكسر، وفي أشطار بيوته حكمة ودرسٌ غير منتهي الصلاحية، يعيها كل لُبّ فطين، فمن لا يحب صعود الجبال، يعش أبد الدهر بين الحفر، وقفت على (نهجه)، أو شارعه الصغير في العاصمة التونسية، وتذكرت نشيداً مفعماً بحب الحياة حفظته صغيراً، وأحببته كبيراً:

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغنّي للحياةِ النَّاعِسَهْ..
والرُّبى تَحلمُ في ظِلِّ الغُصونِ المائِسَهْ..
والصَّبا تُرْقِصُ أَوراقَ الزُّهورِ اليابسَهْ..
وتَهادى النُّورَ في تِلْكَ الفِجاجِ الدَّامسَهْ
أَقبلَ الصُّبْحُ جميلاً يملأُ الأُفْقَ بَهَاهْ
فتَمَطَّى الزَّهرُ والطَّيْرُ وأَمواجُ المياهْ
قَدْ أَفاقَ العالم الحيُّ وغَنَّى للحياهْ
نَغَمٌ يَصْعَدُ مِنْ قلبي كأَنفاسِ الوُرودْ
ثمَّ يَسْمو طائراً كالبلبلِ الشَّادي السَّعيدْ
إنَّ في الغابِ أَزاهيراً وأَعشاباً عِذابْ
يُنشِدُ النَّحْلُ حوالَيْها أَهازيجاً طِرابْ
لمْ تُدَنِّسْ عِطرها الطَّاهرِ أَنفاسَ الذِّئابْ
لا ولا طافَ بها الثعْلَبُ في بعضِ الصِّحابْ

اللوحة بريشة الفنان البحريني عدنان العلوي

نصوص و شعر

١
ذاك الفؤاد

حصة الفرحان*

علمتني بأن أبوح إلى الريح
كل ما يجول في خاطري
حتى أشعر بهمسها وهي
تهدئ من روعي، فأسكن أثناء
هبوبها فتدغدغ مشاعري ..
أتذكر ذاك الدفء الذي كان
يطفئ أوجاعي بعدما أشعل الشوق
ذاك الفؤاد العاري..
تلك الكلمات التي ألفظها وكنت
تحسن استماعي فتردها بقصائد
فيتراقص بفرحة ما في يساري..
وتلك النسمات التي جاءت تحتويني
بكل داعٍ صاحبت شرياني بعذوبتها ،
وقد سكن الحب داري.

* * *

*كاتبة كويتية

٢
يخيل لي

يُخَيَّل لي أصوات أمواج طفيفة
تطفو في مكانها،
تتقدم قليلاً نحو الشاطئ
ثم تعودُ أدراجها..
وها هي على نفس المنوال ..
فما قدمت إلى أصحابها ؟؟
أعلم أنها قدمت الخوف والقلق
والقهر على ركابها، ولكنها كذلك لم
تنسَ أن تقدم اللؤلؤ والمحار
وكثيراً من خيراتها..
فعلاً..
فحياتنا كالموج في أحداثها وصراعاتها
نطفو بأمان .. ثم تعصف بنا الدنيا بمشكلاتها
حتى نغدو بشيء ثمين .. إما حكمة أو درس ،
وتعطينا تجاربها..
فلا الكبير يود أن يكبر ويغرق ..
ولا الصغير يتمنى أن يرى طوفانها.

* * *

زهرة الزيزفون

مجبل المالكي*

منذ عشرين جُرحاً
وحَولاً
تنام الأميرةُ في غوطةِ الروحِ،
تشغل أقمارها العسجديةَ في بؤبؤ العين،
في قاع مجرى الفؤاد الذي
ظلّ يبحثُ عن درّ لآلئِها
في أقاصي الحنايا الموشّاةِ
بالجمرِ والحبّ حدَّ الجنونْ.
منذ عشرين حَولاً تفرّ السنونْ
وتأتي على مهرةِ الريح ظامئةً
تستقي في دمي عطَشاً فاتكاً
كنتُ أيقظتُ جوهرها
من رمادِ التخومِ البعيدة،
من ليلِ ذاك السباتِ الطويلْ.
فارتدتْ حلّةَ الشمس،
وانهمرتْ بين كفيَ وادعةً
تخطفُ الروحَ بسمتها،
طلعةُ الوجهِ،
اشراقةُ المقلتينِ،
الشعاعُ المذهّبُ في غابةِ الشعرِ،
لهجتُها الفستقيةُ،
نقشُ الحروفِ التي تكسبُ الفرحَ المشتهى
في سماء القصيدةِ
والعمرُ في كلّ تاريخهِ..
ليس لي غيرُ إطلالةٍ
تقشطُ الحزن من وجهها الكرمليّ
المضرّج بالنورِ،
والرازقي المطرّز في الوجنتينْ.
ليس لي أبداً غيرها نجمةً
أزهرت بين أحضان مملكةِ العشقِ
واشتعلتْ في هوىً قاتلٍ لا يخونْ.
ليس لي غيرها
يذبلُ الوردُ في غابِ كلّ الخمائلِ
لكنها ترتقي عرشَ ميلادها المزدهي
أبداً في مرايا العيونْ.
زهرةُ الزيزفون.

* شاعر عراقي.

قصة

القصص الواردة في هذا الباب

هي لأعضاء الاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان

أوليغاركي
Oligarchy

بقلم: بدر أبو رقبة العتيبي*

كم عانينا من تسلطهم الكبير وسطوتهم البالغة علينا رغم قلتهم الصغيرة، فنحن أكثر منهم عدداً بالآلاف وربما بالملايين أيضاً وهم يتحكمون بمصائرنا، واحداً تلو الآخر.. راسمين خيوط مستقبلنا الرمادي بقبضة زر من ريموت كنترول تغطرسهم البعيد، وبأنانية عالية لا تنطفئ.. نعمل من أجلهم وعلى مدار الساعة صباحاً ومساءً.. مقصرين بواجباتنا العائلية لسواد عيونهم، وتاركين بيوتنا بمن فيها للمجهول!

تقول نورية زميلتي الحامل بشهرها التاسع في العمل والمتمثلة واجباتها الوظيفية بإدارة شركتهم - أي شركة المعازيب مثلما نسميها بيننا دائماً من باب الحنق والتشفي - بأنها تركت أبناءها الصغار وحدهم بعهدة الخادمة النيبالية الجديدة ويدها على قلبها من شدة الخوف على مصيرهم الذي لا يعلمه إلا الله بعد أن فاجأها زوجها المحترم زميلنا أيضاً بالدوام جاسم بسفرة عمل إلى لندن لحسابهم أي حساب المعازيب طبعاً .. تتذمر زميلتي وتكاد تنفجر غيظاً باكية لوضعها المأساوي خاصة حينما صارحتني خلسة بأن بوادر الطلق داهمتها بوقت متأخر البارحة.

- طاح حظج، ومالت عليج!

إنه الاجتماع العاشر بظرف أسبوع، وعلي أن أعد كل ما يتعلق به من تحضيرات لازمة وتفاصيل غاية بالدقة

* أديب وقاص ومترجم كويتي - رئيس نادي القصة الكويتي - رئيس الاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان .

قبل حضورهم .. المعازيب أصحاب الشركة وعلى رأسهم ابنهم المغرور حسام رئيس مجلس الإدارة الجديد والذي تم تنصيبه كمشروع وريث قادم باجتماع عائلي محفوف في سنغافورة مؤخراً، والضيوف الأجانب القادمين من سويسرا هذه المرة، وبعض الزملاء العاملين معنا بجهاد يؤجرون عليه من مديرين ورؤساء أقسام بمن فيهم زميلتنا نورية المسكينة.

مهمة تبدو صعبة إلى حدٍ ما لغيري ولكني تشربت بها حد الثمالة حتى غدت جزءاً من شخصيتي المتميزة بشهادة الكثيرين والتي زادتها الأيام والدورات و.. و.. خبرة وخبرات ساهمت بتطوير أدواتي المهنية كمدير علاقات عامة محترف يحترم قيمة الوقت ويدرك أهميته القصوى لجمهور واسع من المتعاملين معنا بالشركة كرجال الأعمال العرب والأجانب باختلاف مشاربهم ممن ينتمون إلى مدارس مختلفة، بالإدارة استفدت كثيراً دون شك من احتكاكي المباشر بهم؛ وحيث لا يخفى عليكم أن بيئة العمل ما هي إلا ساحة حرب وميدان لمعارك دولية ضارية يدور رحاها في غرفة الاجتماعات أحياناً.. وسرعان ما تتكشف طبيعة الخصوم الزائفة في هذه البقعة الضيقة من العالم وخاصة حينما يخرجون منها بعبوسٍ جاهم مُوَدعين بعد أن كانوا يستقبلوننا قبل دقائق معدودات بابتسامة حانية.

لا أحب الأوليغاركية (oligarchy) منذ أن عرفتها كمصطلح إنجليزي عابر في سنين دراستي الجامعية المبكرة بكلية العلوم السياسية بجامعة دنفر عاصمة ولاية كولورادو الأمريكية؛ فلقد أفاض بشرحه البروفيسور خوسيه فرناندیز الكوبي الأصل أستاذ مادة الحكومات المقارنة عندما ذكر بأنه يعني باختصار حكم الأقلية أو تحكمها بالأكثرية وهو لا يقتصر على السياسة بمفردها كارتباط عمره بالديمقراطية وجذورها المتأصلة في الحضارة اليونانية القديمة رغم أنه قد أعيد إحياءه مرة أخرى عام 1542 في بداية عصر النهضة الأوروبية بل تعداها ليشمل الجانب الاقتصادي والمتمثل بملكية الشركات المتعددة الجنسيات عبر مجموعات قليلة تتشابه بانتماءات معينة من حيث الأصل والعرق والطائفة والدين و.. و.. وكم ثمنا كطلبة مسلمين قلة في القاعة وقد لا يتعدى عددنا أصابع اليد الواحدة وقتها

للدكتور فرناندیز شجاعته الفائقة وهو يضرب لنا مثلاً باللوبي الصهيوني كنموذج عصري للأوليغاركية الحديثة ناعتاً اليهود بأشنع الصفات والتي لم نكن نتوقعها منه هو بالذات مطلقاً خارجاً عن حدود دماثته المعهودة لأول مرة أمامنا!

- إنهم لا يحكمون إسرائيل وحدها ولا يتحكمون بأمريكا فقط، بل يحكمون العالم ويتحكمون بالعالم، كل العالم، عالمنا جميعاً!

ظلت تلك الكلمات الرنانة ساكنة في أعماق فؤادي وقلبي وعقلي وفكري وروحي ووجداني وأحاسيسي و.. و.. ومسيطرة باحتكار لذيذ يشبه ولعي الشديد بلعبة المونوبولي (monopoly) مذ كنت صغيراً والتي عبثاً حاولت الربط بينها وبين الأوليغاركية مستعيناً بقاموس لونغ مان للترجمة، وباحثاً عن تفسيرٍ وافر؛ يروي ظمأ فضولي العطشان للمعرفة دوماً.

عدت إلى بلدي الكويت بعد سنين الغربة القارسة بشوق المواطن المحب، وكلي طموح أن أشتغل بوزارة الخارجية في وظيفة تناسب تخصصي الأكاديمي الذي خرجت منه بهذه الدنيا الفانية قدمت طلبات الانتساب إلى تلك الوظيفة المأمولة مراراً وتكراراً ولكنها كانت تقابل بالرفض مرةً تلو الأخرى، ولم يبق نائب في البرلمان لم نطرق بابه أنا وأبي دون جدوى .. حتى أعضاء مجلس الأمة من أقاربنا خذلونا بصفاقة خنقت بإمعان عبراتنا الذليلة؛ ولكن فرحة أبي بإيجاد وظيفة مناسبة خففت من معاناتنا الليلية والنهارية بالنهاية .. فلقد جاءني مُبشراً ذات يوم بخبر مفاده أن عمي مشاري قد حصّل الواسطة أخيراً والتي ستفتح أبواب الرزق لي عند هوامير يعرفهم جيداً ويَمون عليهم وافقوا بطيب خاطر مشكورين على توظيفي في شركتهم الذائعة الصيت والمعروفة باسمها الذي يزن ذهباً في الأوساط الاستثمارية المحلية والخليجية والعربية و .. و .. فوافقت على مضض لأجد نفسي تائهاً في البداية هنا .. بدأت من الصفر، أنحت بالصخر، وأتعلم النقش بالحجر .. خطوة خطوة .. مستغرباً شح بعض الزملاء الوافدين من أبناء جلدتنا علينا بالمعلومة، والمعلومات التي قد لا يملكها غيرهم.

يوماً بعد يوم اشتد عودي بالشغل وأصبحت الآمر الناهي بفضل الهوة التي حفرها أرباب العمل بحجة البرستيج

وأبعدتهم عن كل الموظفين تقريباً باستثناء النزر اليسير من الوصوليين والمتسلقين الذين أخذوا يتساقطون تباعاً مقدمين استقالاتهم هاربين كنتيجة براغماتية حتمية لانكشاف أقنعتهم الكاذبة والمثبتة بزيف على هوياتهم بازدواجية سافرة؛ فالشركة كادت توشك على الإفلاس لولا ستر الله وتقديره، وبمناقصة واحدة من دولتنا الكريمة استعادت شركتنا الفتية عافيتها ومليارتها الملطوشة بنجاح يُحسب لبشت صاحبها الراحل ذو العقلية التجارية، والمذهبة أطرافه بالعطايا التي تفتح أبواب الرزق الموصدة بانسيابية!

فبسرعة الصاروخ صرت مديراً، وتحسن سلم راتبي الذي صعد كالبرق لأرقام فلكية لم أكن أحلم بها من قبل؛ حتى في تلك المؤسسة الحكومية التي كنت أتمنى العمل بها يوماً ما ولكن في بعض الأحيان تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن الأوليغاركية.. فما زلت أكتم شتيمتي المعتادة بصدري وأرددها بيني وبين نفسي كلما أرى زهو حسام رئيس مجلس إدارة شركتنا الأخير،الجديد، والمتعاظم وهو ينفش ريشه بخيلاء مستعرضاً عضلات غروره كالطاووس بيننا.

وما أقول غير الله لا يبلانا .. والله لا يبلانا ..

– يا أوليغاركي، ويا ابن الأوليغاركية!

لماذا تأخّرتِ كل هذا الوقت؟

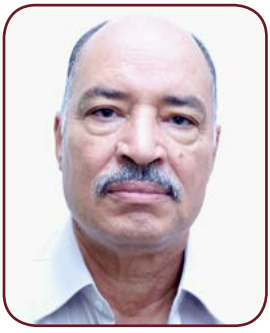

بقلم: إبراهيم درغوثي*

– 1 –

أعـرف أنّني عشتُ معكِ عمرا آخر، عمرا قديما جدّا، منذ آلاف السّنين أو أكثر!

أعرف ذلك وأحاول تذكيركِ بما عشناه معا في ذلك الزّمن البعيد، فتنظرين في وجهي تلك النّظرة الآسرة التي ذبَحَتْني من الوريد إلى الوريد عندما التقيتكِ أول مرة، وتبتسمين.

أعرف أنكِ كنت تقولين إنّ هذا الرّجلَ لَمَجْنُونٌ،، وأنك لم تستوعبي بسهولة كلّ هـذا الكمّ من الحبّ الـذي كنت أُغدقه عليكِ في بدايات تعارفنا الجديد!

وظللتُ أنتظر دون يأس لأنني أعرف أن ناقوس الذّكرى سيدقّ ذات يوم على باب ذاكرتك الموشومة على تلك الخلية الأمّ التي بزغ منها أصلك الأوّل ثمّ ظلّت تتفرّع حتّى وصل منها عود الياسمين الذي أينع الآن في زمن هباءات الإليكترونيك.

قلتِ يومها وأنتِ تبتسمين في خجل:

– يا اللّه! كم تشبه أبي!

فـزغـردت عصافير الـفـرح فـي قلبي وعرفت أنّها بداية فقط، مجرّد بداية، فقد اشتعل الفتيل وستنداح الذّكريات تَتْرى ولن تتوقّف قبل أن تُنير لكِ سُبل الرّشاد.

– 2 –

حدثتكِ مـرّة ونحن فـي لحظة تجلّ غريب أحـاديـثَ عجيبة كنت تستمعين إليها بانتباه كبير إلى أن رأيتُ الخوف في عينيكِ الشّبيهتين بحقول القمح وقد أينعت تحت شمس فصل الرّبيع.

حـدّثـتـك عـن جـنـونـي بـالـخـرافـات وبأساطير الأوّلـيـن وعـن الغيلان التي تأسر البنات الجميلات والصّبيّات الأبكار من قصور السّلاطين والملوك لتقيم لهنّ الأفراح واللّيالي الملاح ثمّ تبني بهن في رؤوس الجبال العالية لينجبن لهم جنسا

* أديب وقاص تونسي – أمين الدراسات والنقد بالاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان

من المخلوقات العجيبة المُهجّنة له من فضائل البشر ومن طباع الغيلان، وقد وصلت بعض سلالاتهم إلى دنيا النّاس حتّى زمننا هذا. وقرأت لك قصصا من «ألف ليلة وليلة» عن الجنّ والعفاريت الطّائرة ما بين السماء والأرض، فتساءلت إن كانت الجنّ حقيقة أم محض حكايات سكنت مخيّلتنا البدائيّة فظللنا نتوارثها آبدا عن تالد منذ الأزمان السّحيقة حتّى الآن، فقلت لك إنّها كائنات من نور الكلام وناره وإنّه لا بدّ منها حتّى تكتمل دائرة الحياة على هذه الأرض العجوز..

وعندما رأيتُ سحر الحكايات مرسوما على وجنتيك وعرفتُ أنّك وقعتِ في فخّ الخرافة وتوابعها قلتُ لنفسي مزهوّا:

– لا تترك الفرصة تضيع منكَ أيّها الحكواتي وخبّرها بما كنتَ تخفي عنها حتى الآن.

قل لها أوّلا إنّك تؤمن بتناسخ الأرواح! وإنّ الرّوح التي تسكن جسدك الآن هي روح قديمة عاشت معك عمرا آخر! وانتظر وقع كلامك على قلبها حتّى إذا اطمأنّت لحديثك زدها قبل أن تستردّ أنفاسها بأنّك عشت هذا العمر الآخر منذ آلاف السّنين أو أكثر معها هي دون سواها من نساء الأرض!

وانتظر ردة فعلها من جديد.

انتظر ولا تيأس، فالحكايات الطويلة تبدأ دائما بكلمة واحدة. وربّما تصنع هذه الكلمة مهرجانا من الكلام يشدّ بعضه بعضا، فيبدأ ولا ينتهي حتّى يعيد للذّاكرة ميلادها الأوّل.

– 3 –

سألْتني مرّة ونحن في نشوة الذّكرى:

– أوليس العمر مرّة واحدة يا سيّد الخرافات الجميلة نعيشه دون أن نعرف كيف جئنا ولا متى نرحل عن هذا العالم العجيب المفخّخ بالشّرور، ثمّ نموت لتظلّ أرواحنا تنتظر جنّة الخلد أو نار الخلود؟!

فقلتُ وقد استبدّ بي الحنين إلى ماض كنتِ فيه أميرة فينيقيّة بينما كنت ضمن بحّارة سفينتك التي أبحرت بك من مدينة صور عروسا لسيناتور في قرطاج:

– هذا عنهمُ همُ، وهو لا يعنيني من قريب أو بعيد، وليقولوا ما شاء لهم القول فهي حكايتهم الخاصّة بهم وحدهم.

أما عنّي، فأنا على يقين بأنّني شربت من ينابيعك الصّافية قبل الآن وأكلت من عنبك وتفّاحك وشممت رائحة وردك وآقاحك وتذوّقت من عسل جبالك ثمّ قتلتني سهامك ونبالك ونحن بين الماء والماء طيلة الرّحلة التي دامت شهرا قمريّا.

فظللتِ تفركين جبينك وأنت مغمضة العينين قبل أن ينهمر كلامك بلسما يداوي جراح الرّوح:

– كأنّها اللّحظة أيّها الشّبيه!

ثمّ أضفتِ وأنت تواصلين السّباحة مع تيّار الذّاكرة الجارف:

– أذكر أنّ قائد السّفينة، بعدما اكتشف حكايتنا وخاف أن تقطع رقبته، أمر بك فعُلّقت من رجليك في صخرة كبيرة ثمّ قصف بك في اليمّ!

وكان يردّد:

– وحده قعر البحر سيخفي سرّ فضيحة الأميرة مع البحّار، فلا تطالنا سيوف سيناتور قرطاج!

فأحسست بطشيش الماء يغمرني من كلّ الجهات، ومرّرت يدي على ثيابي فوجدتها مبتلّة.

وشممت رائحة عطرك الفاخر.

فطنّ داخل أذنيّ صخب الأمواج قبل أن أبدأ الغوص في أعماق البحر.

– 4 –

عندما عدتُ إلى دنيا النّاس كان من المفروض أن تصلي بعدي بعشر سنوات، عشر سنوات فقط على أقصى تقدير، فلماذا تأخّرتِ كل هذا الوقت؟ لماذا؟ الحسابات خاطئة لا دخل لنا فيها أم لأنّ ثلاثة آلاف سنة من الغياب ما كانت كافية ليكون اللّقاء بيني وبينك تامّ الشروط؟

فجاء منقوصا!

لقد طمعتُ في والضّمّ والرّفع والخفض.

وطمعتُ في اللّثم والشّم.

وطمعتُ في الكلام والسّلام والمسح على ريش الحمام. ولكنّك وأنت صورة قريبة من القلب في ساحة الحلم، كنت بعيدة المنال.

فلماذا تأخّرتِ كل هذا الوقت؟

– 5 –

هذا الخريف يقتلني وأنا أقترب من المجهول من جديد بينما أراك ملفوفة بالياسمين.

تقولين وأنت تزرعين الأمل في بساتين الرّوح التي كفّنها الصّقيع:

– لا عليكَ! في المرّة القادمة سنصل سويّة ولن أتركك تنتظر!

فيشهق القلب:

– وما يدريني أنّ القيامة ستنتظرنا مرّة أخرى! فهذا العالم تغيّر أكثر مما توقعنا و«قرط حدشت» صارت قرطاج، وبعل حمّون أغرقه الرومان في الميناء الحربي.

فعدت تغنجين هامسة:

– ستظلّ «تانيت» تعيش بين جوانحي ألف عام وعام آخر!

ساعتها أجبتك وأنا بين اليأس والرّجاء:

– إذن! في المرّة القادمة أنصتي مليّا لشقشقة عصافير الصّباح حتّى لا يفوتنا موعد اللّقاء مرّة أخرى!

حَضَرَ جَنَازَتَهُ كَلْبُهُ فقط...

بقلم: سعيد موفقي*

عندما غادرنا المدرسة وتركنا المقاعد، كان حديثه دوما عن النضال والتضحيّة والأكل والشرب وحضور الولائم المتخمة والعلاقات، يحدّثني دوما عن أنواع الكراسي الوضيعة والفاخرة، بالكاد هي أفضل من هذه الكراسي، بينما الكرسيّ الذي يبحث عنه شكله مختلف، ظننته يمزح فقط...؟ قال لي وكلّه سعادة وفرح كالمستيقظ وأوراق كرّاسه لا تخلو من رسومات مختلفة لكرسيّه المفضل، كان يتمتّع كثيرا برسمه وحديثه عن هذا الكرسيّ الذي لا أعرفه، استطرد: قبل أيّام دُعيت لحضور وليمة أقامها أحد أعيان المدينة على شرف ضيف كبير تعرّفت عليه، حاولت أن أقترب منه، يومها ذبحت شياه كثيرة ملئت بها جفنات المتطوعين والمتطوّعات لحما (العظم على حالو)... وكتبت عن هذه الوليمة مقالات في الحكمة والنّجاح والتفوّق و(لقفازة والوقاحة والقباحة وغسل الوجوه ببول الكلاب مع التجديد في كلّ مرّة)، لم أفهم الأمر في الأول، لكنّ حديثه عن هذا الحضور المتكرّر ساعدني على فهم قصده، ثم أردف قائلا: علّمني هذا الحضور بأنّي كنت غبيّا ومتخلّفا ومتأخّرا عن هذا الانخراط، لقد فاتني خير كثير... لذا فهمت لماذا كان يكثر الحديث عن الحزب والنضال والدّفاع عن حقوق الملكيّة والعدالة الاجتماعيّة وحاجة الزواليّة إلى رجال مثله، يضيف: سأقوم بما لم يستطعه من سبقني إلى هذه الولائم الخاصّة، وسأكثر من غسل وجهي

* أديب وقاص جزائري – أمين التدريب بالاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان

ببـول الـكلاب والحميـر أيضا،...وهـا هـو الآن فعـلا، يتصدّر الولائـم ويحقّق حلمـه الـذي طالمـا انتظره فـي الواقع مـذ كان يجلس بجانبي أيّام المدرسـة، ها هو يركب سـيارته الفاخـرة ويراقب عمّالـه من شـدّة الخوف وحـبّ مهنته، ذات ليلـة همـس إليـه أحدهـم أنّ مشـروعا عظيمـا سـيجني مـن ورائـه مـا لـم يجمعه منـذ انخراطه فـي لعبة الولائـم، تذكّـر بـأنّ فـي بـول الكلاب فوائـد جمّة. تمّـت الصّفقة والمشـروع لا يزال قيـد الوثائق، اتّصل به، سـأله: مـا مصيـر مشـروعنا، قـال لـه بلهجة المتهكّـم: (راك مـن نيتـك تحـوّس علـى مشـروع اتفيّـد منو دراهـم كبيرة للمدينـة؟) أنصحـك بطـيّ الملـف، وسـأحيلك إلى شـخص صاحـب حرفة سـتنال مـن مشـروعه المـال الكثيـر، ودعـك مـن الأوّل، مـا جنيتـه منـه فيه بركـة ولو قليلا يا سـي ملهـوف (البركة فـي القليل)...انتهـت العهـدة اسـتلم المشـاريع ولا يعلـم كم فـي رصيده من ثيـران وبغـال وغزلان وبقـر الوحش... يكتفـي دومـا بالبحـث عـن المشـاريع وبـول الـكلاب، هاجسـه الوحيـد، فـي آخـر أيـام عطلتـه بينمـا كان ينظّـف سـيارته الفاخـرة، لفت انتباهـه لفائف مـن أوراق ارتـوت زيـا وهريسـة وبقايا خبز وبطاطـس مقليـة، كان يأكلها على عجـل في غـدّوّه ورواحه بين المشـروع والمشـروع، ورائحة الأحذيّة والجوارب المكوّمـة تحـت مقاعد السـيّارة، يومها رنّ هاتفـه: أحدهـم متنكّـرا عـن غيـر عمـد: هل أنـت سـي ملهوف؟

نعم أنا هو... شـعر بسـعادة عميقة، شـرد ذهنـه: تـرى كـم تكـون الصّفقة هـذه المرّة...ألـو ألـو ألـو، نعـم نعـم أنـا معك، المعـذرة علـى الانقطاع: كم هـذه المـرّة...؟ قاطعـه: أنـت مطلوب إلـى العدالـة غـدا صباحـا مصحوبـا ببطاقـة هويتك...يومها حضـر جنازته كلبـه فقط...

الكلب يقودني إلى البيت

بقلم: مسعود غراب*

خرجنا صباحاً كالعادة، مستأنسين بصفاء الحال، الشمس لما تطلع بعد. كان أكثر مرحاً مني وحيوية، وكنت أستعين بعصاي المتوسطة الطول، والمعكوفة قليلاً في الأعلى، أمسكها بيد، وباليد الأخرى أثني طرف الحبل، والذي لست أدري أكنت أشده به أم يشدني. الأكيد أني منذ سنوات خلت، كنت أصطحبه معي لأهم الأماكن في هذه الناحية المجاورة، حيث كان حديث العهد بالبيت، وبالحياة. نستمتع بالسير في الشارع الشجري، والذي يفضي بنا إلى وسط المدينة، حيث المحلات التي قد نمر عليها في طريقنا عند العودة.. أخذنا دربنا المعتاد، كنت بطيء الحركة، ثقيل الخطو، وكان مرحاً ككل صباح، يسبقني مرة، ويتخلف مرة أخرى، يميل إلى اليمين تارة وإلى اليسار تارة أخرى، يمر بين رجلي، يكاد يسقطني، ومرة يتمرغ على حافة الطريق، أو يبسط ذراعيه، وكأنه بذلك يعتز بفتوته، ويستعرضها على الطريق التي ألفت رفقتنا.

عندما نبتعد عن البيت يصير الكلب أكثر ملازمة لي، وأقل حركة، حيث يحرص ألا يتركني وحيداً، وكأنه يحس بحاجتي إليه، وأصير أكثر حرصاً على ألا أرخي الحبل بيدي، فقد يُلهيه شيء ما، ويغفل عني، أو أغفل عنه، وأضل الطريق... إنه دائماً يغمرني بوفائه، وطيب العشرة بيننا، فهو الرفيق الوحيد الذي كان يملأ علي حياتي بعدما قفرت بيتي من كل الأهل والأحباب. كان ينسيني الكثير من الهموم، وأستعيض بوفائه عن الكثير من خيانة الناس، وغدرهم، ومن نفاقهم، إلا أنني دائماً كنت أحذر طبع الكلاب.

* أديب وقاص جزائري -عضو مؤسس بالاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان

أخذت مكاناً ما بعدما أحسست بشيء من النصب، واسترحنا. وأنا أهم بالرجوع، نظرت من حولي، لم أجد إلا عصاي، اعتمدت عليها لأنهض؛ يا ترى أين ذهب؟ أنا متأكد أنه سيعود، ولكن ليس هذا هو الوقت الذي يتركني فيه.. أو، إنني لا أستطيع العودة بدونه، إن بصري لا يتجاوز قدمي. أووه أين غاب هذا الملعون.. ؟؟ بعد فترة عاد، وبسط ذراعيه أمام رجلي، وكأنه يعتذر عن هذا الغياب، هممنا بالرجوع وطرف الحبل بيدي، لم يعد يكثر الحركة كما في الصباح، يلاصقني. يسبقني قليلاً . مشينا..، ها قد توقف، ربما رأى شيئاً ما..؟، أحثه على السير، أهش عليه بالعصا ولا يستجيب. استرقت السمع، وقد عوى الكلب عواء خفيفاً، وحرك ذيله الملتوية التي لامست رجلي، وكأنه يرحب بأحد. وبقي شاخص البصر صوب الناحية الجانبية. حاولت أن أعرف ما الأمر، تمعّنت جيداً، واقتربت بنفس الاتجاه، تحرك معي هذه المرة، وزادت حركة الذيل، ولهاثه، كأنما رأى حبيباً. ها أنا قريب من المشهد كانا شبيهين في كل شيء، لون واحد، وقوام واحد، وعينان يتبادلان الشوق. يلتفت إليّ، ويرفع رأسه نحوي وكأنه لا يود الفراق، ولكن شيئاً خفياً كان يجذبه إليها، في النهاية جمع في عينيه معنى الوداع الأكيد..، جذبت الحبل، لعلنا نكمل طريقنا، ولكنه بقي ساكناً مكانه، لم يسعفني الكلب، وراح يقترب أكثر منها، وراحت تلعقه بلسانها، إنها أمه. لقد انفلت من الحبل، وكأنه ارتبط بخيط آخر أكثر متانة، وبقيت متكأ على عصاي، والحبل يتدلى بين يدي، وراحا معاً حبيبين رفيقين في الطريق، وقد خلفا وراءهما معنى وذكرى، وبقيت وحدي وسط الشارع الكبير.

حلم على المرآة

بقلم: ثريا عبد البديع*

هبت سارة من نومها قبل شروق الشمس،جلست على حافة السرير، تحاول جاهدة تذكر حلمها الذى لم تزل بقاياه عالقة بذهنها.. تلملمها بصعوبة، بالكاد تذكرت، حلم عجيب حقا! تداركت تفاصيله .. رأت نفسها وقد أطلت بوجهها فى مرآتها، تأنف من النظر إليها لظهور دمل كبير أسفل ذقنها، يؤلمها.. تتلمسه، تضغط عليه بأناملها فتتوهج ذقنها المنتفخ به فيزيد الألم.. "لا مفر" تهمس لنفسها، تضغط أكثر فينفجر خيط أبيض من ذقنها، مندفعا ليلتصق بالمرآة!

تسرع بمسح القيح من على مرآتها بقطعة قطن، وتعاود الضغط على ذقنها محتملة الألم فتخرج الدماء مختلطة ملوثة بلون أبيض تمسح وتطهر ذقنها.

تكرر سارة .. تزيل آثار الدماء فيذهب التورم تدريجيا، ويغمرها إحساس بالراحة مع كل قطرة من دمائها المختلطة.. تحس مع خروجها بتطهر حقيقي. وجديد يتسرب إليها حتى يغمر روحها.. ياااه لقد نظفت ذقنها تماما امتلأت الغرفة بالأكسجين..

انتبهت سارة، يربكها ذاك الإحساس الجميل داخلها بالراحة وهدوء البال

تمتمت بكلمات بينما تغادر السرير، وبحركات سريعة رشيقة تغسل وجهها عدة مرات وكأنما تزيل قيح رؤياها.. وتتأكد من مرآتها على اتساق شكلها وجمالها، تلتقط هاتفها المحمول..

قالت: أستاذ صلاح.. ارفع لي قضية خلع حالاً!!

* أديبة و قاصة مصرية – أمين النشر بالاتحاد العربي لأندية القصة والسرد في الخرطوم بالسودان

«رحيل».. موظف

بقلم: طلال سعد الرميضي*

صدر أخيرا القرار الذي يطمح إليه أغلب الموظفين الكادحين في مؤسسات الدولة المتنوعة والكثيرة، إنه القرار الذي عملت طوال حياتي الوظيفية على بلوغه رغم التحاقي بالوظيفة منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما إلا أن هذا القرار كان هدفا لي وللكثير من زملائي، بعد ما كنت أتابع أخبار التعينات والترقيات في لوحة الإعلانات بالمؤسسة التي أعمل بها، أصبحت أبحث عن قرارات استقالات الموظفين والاستغناء عنهم وأتذكر مواقفهم الشخصية معي كأحلام طيف تحضر وتغيب أمام ناظري، فهذا المحاسب محمد الذي التقيت به في المصعد قبل عدة أسابيع أو شهور لا أذكر، وهذا راشد من ضباط الدوام الذي كنت لا أطيقه لبرودة سلامه معي، وهذه هيفاء التي كانت نحيفة عندما بدأت العمل معنا قبل ربع قرن والآن أصبحت من ذوات الحجم الكبير، وهذا فهد الذي كان شاباً وسيماً ولعبت به السنون وتقاعد قبيح الوجه بعدما تساقط شعره الكثيف وكشف عن صلعته الملساء، وهذا أسامة الشخص السمح الذي لا تفارقه ابتسامته طوال مدة خدمته رغم الظلم الوظيفي الذي تعرض له عدة مرات ولكنه تمسك بالأمل الوظيفي الزائف وبقيت ذكرى الابتسامة عندما يطوف اسمه بيننا، وهذه السكرتيرة لطيفة التي لا تعرف من اللطافة سوى اسمها وعرفت بالفظاظة والعبوس مع الجميع إلا مع السادة المديرين المبجلين، وآخرون لا أعرفهم أو قد جرفهم موج النسيان من الذاكرة ..

ومثلما كنت سابقا أبحث بالجرائد عن أخبار الرياضة حيث تغير أسماء نجوم المنتخب بعد أعوام مديدة ولم أعد أعرفهم الآن، أصبح عامود وفيات اليوم هو هاجسي في صفحاتها لعلي أجد اسماً من بينهم أعرفه.

سنوات طويلة مرت بلمح البصر ولا يبقى في ذاكرتي منها سوى القليل، فلم أعد أتذكر اللوائح والتعاميم التي كنت أصيغها فيما مضى، وقمت بنسيان التكاليف الوظيفية المناطة على عاتقي، وأواجه المسؤول بابتسامة عريضة عند سؤاله لي عن التأخير في أعمالي، فالابتسامة هي عذر من لا عذر له ومن غلبته الظروف وفق نظرية صديقي أسامة المغلوب على أمره ، لعل ذكرياتي تقلصت في هذا المكان ليس رغبة مني، وأصبحت لا أذكر منها سوى أضغاث أحلام، وأفكار متكسرة تراودني بين حين وآخر بعدما هزمني مرض الزهايمر وصدور قرار إحالتي للتقاعد لأسباب طبية.

* أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين - المشرف العام على «البيان».